وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الدكتور مولاي الطاهر –سعيدة–

كلية: الآداب واللغات والفنون

قسم: اللغة العربية و آدابها

مذكرة تخرج لنيل شهادة ماستر تخصص نقد عربي قديم الموسومة ب :

تطور النقد المنهجي عند طه حسين

من إعداد الطالبة:

- سماحي نصيرة :

إشراف الأستاذ الدكتور:

- عباس محمد

لجنـــــة المناقــشة :

- ❖ الدكتـور/..... تــامي مجاهد.... جـامعة سعـيدة..... رئيسا
- ❖ الدكتور /..... عبـاس محمد.....جامعة سعـيدة .....مشرفا

السنة الجامعية: 1439– 1439هـ/2017 – 2018 م

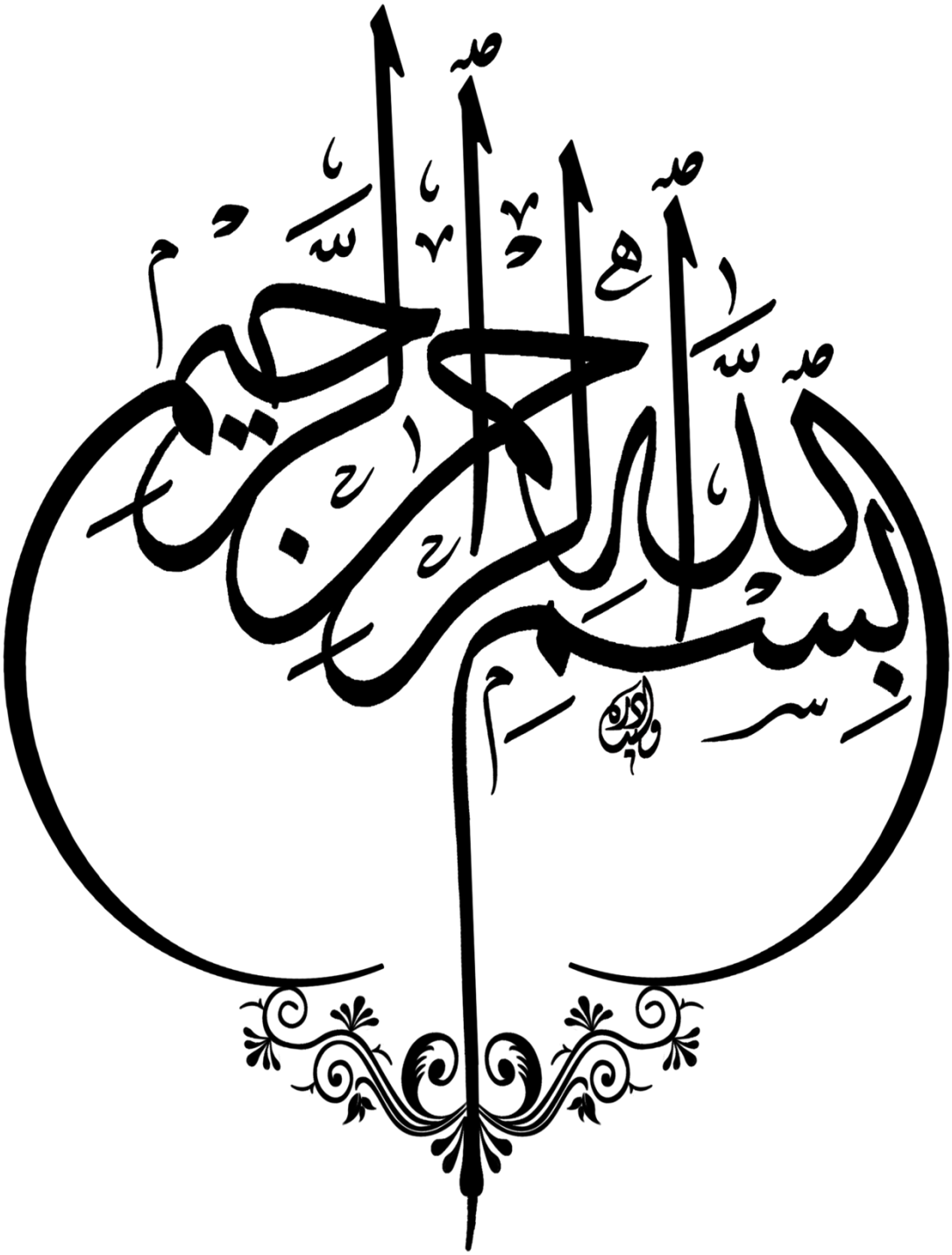
بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

بسم الله الرحمن الرحيم

" وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون" صدق الله العظيم

إلهي لا يطيب الليل إلا بشكرك ولا يطيب النهار إلا بطاعتك ولا تطيب اللحظات إلا بذكرك ولا تطيب الآخرة إلا بعفوك ولا تطيب الجنة إلا برؤيتك " الله جل جلالك"

إلى من بلّغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة إلى نبي الرحمة ونور العالمين خاتم الأنبياء "محمد صلى الله عليه و سلم" .

إلى من كلله الله بالهيبة والوقار إلى من علمني العطاء بدون انتظار إلى من أحمل إسمه بكل افتخار أرجو من الله أن يمد في عمرك ، ستبقى كلماتك نجوما أهتدي بها اليوم وفي الغد وإلى الأبد " أبي العزيز".

إلى ملاكي في الحياة إلى معنى الحب والحنان والتفاني إلى بسمة الحياة وسر الوجود إلى من كان دعاؤها سر نجاحي إلى أغلى الستات " أمي الحبيبة " .

إلى الورود التي نبتت بجانبي وانفتحت لرؤيتي لم تحرمني من عطرها المتمثل في الإرشاد "أخواتي" .

إلى سندي في الحياة وعزوتي أخي الغالي "محمد عبد الناصر"

إلى أقرب الناس والحب النابض في قلبي عائلة سماحي،عابد، عبد العالي.

إلى الأخوات اللاتي لم تلدهن أمي إلى من تحلون بالإخاء ، إلى ينابيع الصدق الصافي ومن سرت برفقتهن في دروب الحياة الحلوة والحزينة صديقاتي كل باسمها.

إلى كل طلبة الأدب العربي دفعة ماستر 2018/2017

بجامعة مولاي الطاهر بسعيدة.

كلمة شـــــــــكر

إلى الذي سجدت له الأجساد وخشعت له القلوب وبكت منه العيون، الله رب العالمين رب العرش العظيم الذي وفقنا في إنجاز هذا العمل والذي بنعمته وفضله وصلنا إلى هذا.

أتقدم بالشكر والعرفان إلى الأستاذ المشرف

الدكتور"عباس محمد"

الذي أتحفني بالمراجع والدعم الدائم.

إلى الذين تباهى باسمهم الكتاب وتغنى لهم الشعراء أساتذتي الكرام ،

أساتذة قسم اللغة وأدبها العربي.

إلى كل من مد لنا يد المساعدة من قريب و من بعيد.

شـــــــــكرا

مقدمة

مقدمة

لاشيء يبدأ من لا شيء ثم ان تحديث النقد الأدبي لم يبدأ من فراغ ، ففي رصد مسار النقد العربي الحديث وتطوره ، نجد ناقدا ليس كأي ناقد عادي بل أحد مؤسسي الوعي النقدي الحديث ، عميد الأدب العربي الناقد البصير والكاتب الكبير الدكتور "طه حسين" فهو بدون شك من أعظم الشخصيات في الحركة الأدبية الحديثة ، وواحد من أهم المفكرين في القرن العشرين الذين ساهموا في تطوير وبلورة حركة النقد ، خاصة لجهة تبني "المنهج". وهذا ما أنا بصدد الكشف عنه في هذا البحث الموجز الذي يهدف إلى تتبع وتقصي "تطور النقد المنهجي عند" طه حسين"، وأيضا إبراز ما أضافه طه حسين إلى النقد العربي الحديث، والكشف عن حجم الدور الريادي والتجديدي الذي قام به. فهو بدون منازع جدد ونوع في استخدامه للمناهج وكل ذلك يعود بالدرجة الأولى إلى ثقافته العربية الصميمة، وكذلك ما اكتسبه من الثقافة الغربية التي أثرى بها الأدب العربي، فنحن حينما ننظر إلى إنتاجه النقدي نجده يتميز بالغزارة والتنوع والاتساع، وهذا إن دل على شيء إنما يدل على عبقريته الأدبية والنقدية فهو منذ أن بدأ حياته العلمية بدأها كناقد بارز.

وقد وقع اختياري على مؤلفين من مؤلفاته وكل ذلك من أجل الكشف عن مدى تمثل طه حسين للمناهج الغربية؟ وكيف طبقها في هذين المؤلفين؟

وقد زاوجت بين منهجين اثنين : المنهج التاريخي مرة، والمنهج الوصفي التحليلي مرة أخرى، عند تناولي للجانب التطبيقي في دراسات طه حسين لإبراز خصائص المنهج الذي طبقه.

ثم إنني في محاولة الإجابة عن الإشكالية المطروحة في البحث ارتأيت معالجة الموضوع من خلال خطة البحث التي قسمتها على النحو الآتي : مقدمة، مدخل، فصلين وخاتمة.

- ففي المدخل كان حديثي عن النقد في عصر طه حسين ومدى تأثره بأساتذته.
- أما الفصل الأول فخصصته للحديث عن منهج " الشك الديكارتي" عند طه حسين من خلال كتابه : " في الأدب الجاهلي " فقسمته إلى ثلاثة مباحث:
  - المبحث الأول: كان حديثي فيه عن مفهوم الشك عند ديكارت ومبادئه .
  - المبحث الثاني : تحدثت فيه عن منهج الشك كما فهمه طه حسين.
  - المبحث الثالث : كان تطبيقيا فقد تناولت فيه منهج الشك الديكارتي وكيف طبقة طه حسين في " الأدب الجاهلي" إضافة إلى بعض الآراء النقدية التي وجهت للمنهج والكتاب .
- هذا عن الفصل الأول فأما الفصل الثاني والذي كان عن منهج الجبر التاريخي عند طه حسين من خلال " تجديد ذكرى أبي العلاء " فقد قسمته هو الآخر إلى ثلاثة مباحث:

- المبحث الأول تناولت فيه مفهوم المنهج التاريخي.
- والمبحث الثاني منهج "الجبر التاريخي" عند طه حسين.
- والمبحث الثالث حاولت أن أحدد كيفية تطبيقيه لفكرة " الجبر التاريخي" من خلال دراسة عملية كشف من خلالها عن عصر المعري، وحقق وحلل أدبه ، أما الخاتمة : فقد خصصتها لتسجيل بعض النتائج العامة " ، كما تراءت لي.
- اعتمدت طيلة مسيرة البحث على مؤلفات طه حسين مثل "تجديد ذكرى أبي العلاء" ، و" الأدب الجاهلي"، و" نقد و إصلاح"، و بعض المصادر و المراجع العربية والمترجمة البعض كان لها الحضور الكثيف، والبعض الأخر كان الاعتماد عليها قليلا ونذكر من بينها : "المرايا المتجاورة " لجابر عصفور، و"مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية" لناصر الدين الأسد ، و" الخطاب النقدي عند طه حسين " لأحمد بوحسن ،و " معارك طه حسين الأدبية والفكرية " لسامح كريم .
- وفي ختام هذه المقدمة، أود الإشارة إلى أن هذا العمل ماكان له أن يكتمل لولا فضل الله عز وجل ، وفضل الأستاذ المشرف الدكتور "عباس محمد" والذي أتقدم له بالشكر الجزيل لما أبداه لي من معلومات وصبر وتشجيع ودعم معنوي متواصل ، وتوجيهاته القيمة التي كان لها الأثر الواضح في هذه المذكرة ، وأسأل المولى جل وعلا أن يجعل هذا في ميزان حسناته.

- وهذه كانت ثاني خطواتي على مدارج البحث العلمي ، وهي لا تكاد تخلو من العثرات ، فإن أصبت فبفضل الله ، وإن أخطأت فمن نفسي والشيطان .

"والله وراء هذا القصد"

مدخل:

مدخل : النقد في عصر طه حسين

1- القراءة الثنائية

2- سيد بن علي المرصفي

3- كارلو نلينو

مدخل

النقد الأدبي مرحلة من مراحل الإبداع الفني ، إذ يمثل ظاهرة ثقافية ومحركا علميا يدل على رقي العقل الإنساني كما أنه يمثل تراث الأمة المعرفي ، فالعرب كغيرهم من الأمم نجد أنهم قد تركت لهم بصمات في المجال العلمي من خلال ما تركه القدامى من كتب وذخائر، ومن ضمن تلك المؤلفات ، الكتب النقدية التي تعد أصولا لقواعد ومناهج النقد الأدبي، وشاهد لهم على مر العصور على سلامة عقولهم الفذة، ونذكر من بين هؤلاء النقاد والأدباء الذين أسسوا لتلك اللبنات الأولى لقواعد النقد: قدامة بن جعفر في كتابه "نقد الشعر ونقد النثر " والحسن بن بشير الامدي في كتابه: "معاني شعر البحتري" والموازنة بين الشاعرين الفحلين " أبي تمام والبحتري، وعبد القادر الجرجاني واضع "أسرار البلاغة" .... ، وغيرهم من النقاد القدامى الذين لهم الفضل في إرساء جذور وقواعد النقد[1].

وإذا كان النقد الأدبي في نشأته وتطوره قد ارتبط بالفلسفة عند اليونان وتطور هذا الارتباط وازداد تأصلا مع مرور العصور، مرتبط بعلوم الجمال وغيره من العلوم الأخرى التي ظهرت مؤخرا في العصر الحديث[2].

لما كان عهد النهضة الحديثة التي أعقبت الحملة الفرنسية على مصر بداية القرن 19، حتى بدأ النقد الأدبي بالظهور من جديد ، ويستفيق من غفوته ويخرج من دائرة ذلك الجمود والركاكة والضعف التي عاشها خلال الحقب الماضية ، فاتجه الأدب والنقد

[1] الهادي محمد السلوقي : تطور النقد الأدبي العربي بين النظرية والتطبيق ، جامعة زاوية ليبيا، ص1.

[2] المرجع نفسه،ص2

الحديث اتجاهات شعرية متنوعة حددت مذاهب الشعر الحديث، ورصدت اتجاهاته ، بأن أطلق عليها النقاد المحدثون " المدارس الأدبية الحديثة " وقد كان لهذه الاتجاهات الأثر الكبير في بلورة تلك المدارس ، و القارئ للأدب الحديث يلحظ تطورات أدبية هائلة في جوانب الحياة الأدبية والفكرية والثقافية ، نتيجة الوعي الثقافي والحضاري لدى الكثير من الأدباء ونقاد هذا العصر، حيث انكبوا على دراسة هذا التراث بشكل واع وجريء فأظهروا ما فيه من سلبيات وإيجابيات ، وخلصوه من الشوائب التي أدت إلى ضعفه ، ودعوا إلى التخلي عن الوجه المسيئ للأدب .

ولعل من الأوائل الذين نادوا بهذا : محمود سامي رائد البعث الشعري، الذي يمثل نموذجا عاليا لهذه النهضة التي عادت بالأدب إلى عصور تفوقه ، فقد رجع بالشعر إلى العصر العباسي ، فترسم آثار أبي نواس وأبي فراس المتنبي[1] ، أي اقتفى آثار القدماء وكان مجددا من حيث اللغة فأحياها من جديد.

مثلما كان البارودي رائد الشعر الإحيائي نجد الشيخ حسين المرصفي رائد للحركة النقدية الحديثة الذي تتلمذ عليه البارودي وغيره من أدباء النهضة الحديثة وشعرائها في مصر[2].

[1] عبد المنعم خفاجي: مدارس النقد الحديث الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة ، ط1 ،1995 ، ص86.

[2] المرجع نفسه ، ص235.

كما يمكن لنا أن ندرج جهود "سيد علي المرصفي " أستاذ طه حسين ، إذ يعتبره طه حسين الركيزة الأولى في البناء الفكري ، النقدي ويشيد بفضل أستاذه قائلا: "أستاذنا الجليل سيد بن علي المرصفي اصح من عرفت بمصر فقيها في اللغة، وأسلمهم ذوقا في النقد ، وأصدقهم وعيا في الأدب وأكثرهم رواية للشعر، ولاسيما شعر الجاهلية وصدر الإسلام ... حب الأستاذ قد أثر في نفسي تأثيرا شديدا فصاغها على مثاله"[1]. ثم بعد إشادة طه حسين بفضل " الأستاذ المرصفي" يطلعنا على أهم الأسس النقدية التي يعتمد عليها مذهب هذا الأستاذ فيقول "مذهب الأستاذ المرصفي نافع النفع كله ، إذ أريد تكوين ملكة في الكتابة ، وتأليف الكلام، و تقوية الطالب في النقد، وحسن الفهم لآثار العرب، وليس يريد الأستاذ أكثر من ذلك[2].

فالمرصفي علم طه حسين كيف يقرا النص العربي القديم وكيف يفهمه وكيف يتمثله ، وكيف يحاكيه ، علمه كيف يقرأ النص العربي قراءة صحيحة وسليمة في لغته وعروضه وكيف يفهم ألفاضه ومعانيه و مستغلقاته اللغوية والنحوية وكيف يتذوقه كلغة ومعاني شعرية عربية قديمة وأساليب تستمد طه حسين برصيد هام في كتابته النقدية ، أو بعبارة أخرى إن المرصفي علمه كيف يقرأ النص العربي من الداخل كعملية أساسية في النقد .[3]

[1] طه حسين : تجديد ذكرى أبي العلاء، ط8 ، دار المعارف مصر ، 1976 ،ص05.

[2] المصدر نفسه، ص07.

[3] أحمد أبو حسن : الخطاب النقدي عند طه حسين ، دار التنوير ، بيروت ، لبنان ، ط1 ،ص39

يبدوا أن الأستاذ سيد علي المرصفي " كان مدينة العلم بالنسبة لطه حسين " فيها اكتسب فن القول والكتابة وفيها درب ذوقه النقدي إلا أننا نلمح لدى طه حسين " روح التمرد والتطلع إلى المزيد وذلك من خلال قوله " وليس يريد الأستاذ أكثر من ذلك" [1] فهو يريد أكثر مما يريد أستاذه كيف لاوهو القائل نحن نفهم لنمتلك ، ونمتلك لنتجاوز .[2]

وبالفعل وجد ضالته فيما دعت إليه الحركة النقدية الفرنسية من روى سياقية تاريخية وبدأ هذا التعلق الفكري بين طه حسين والنقد الفرنسي الحديث ، في القرن التاسع عشر أولا في الجامعة المصرية تم تعمق أكثر غداة رحلته إلى فرنسا .

أما عن المستشرق الإيطالي كارلو نالينو الثاني فقد كان طه حسين شديد التأثر بدروسه، وكان أثره عليه كبيرا باعتراف التلميذ نفسه، لقد كان نالينو ثاني اثنين ضل العميد طوال حياته يذكر بدينهما الكبير عليه وعمق تأثيرهما في حياته العقلية والعلمية كلها[3].

ويتجلى صدق التلميذ وروعته ووفاءه وأمانته العلمية في اعترافه الدائم بفضلهما عليه ،كما في قوله :"أما أنا فقد سجلت غير مرة وأسجل الآنأني مدين بحياتي العقلية كلها

[1] طه حسين : المصدر السابق ، ص07.

[2] جابر عصفور: المرايا المتجاورة، دار قباء للطباعة والنشر، القاهرة ،1997، ص16.

[3] يوسف بكار: قراءة نقدية جديدة عند طه حسين ، دار المناهل ، ط1 ، 1991 ، ص16.

لهذين الأستاذين العظيمين ،سيد علي المرصفي الذي كنت أسمع دروسه وجه النهار وكارلو نلينو الذي كنت أسمع دروسه أخر النهار.[1]

ويقول أيضا : " فلا غرابة إذا أن تكون حياتي كلها برا بهذين الأستاذين[2] ومما خص به طه حسين " نالينو" وحده دون سواه قوله:"فقد أقبل أساتذة جدد ملكوا عليه أمره واستأثروا بهواه ، فهذا الأستاذ كارلو نالينو الإيطالي الذي يدرس باللغة العربية ،تاريخ الأدب والشعر الأموي...."

لقد استفاد طه حسين من أستاذه نالينو فعلمه "كيف يفسر النص ويتجاور به ذات النص ،أي كيف يوظف النص توظيفا جديدا ويعيد صياغته وينتقل إلى مجال الكتابة،فإذا كانت القراءة الأولى قراءة لغوية محدودة ،فإن الثانية تتجاوز حدود القراءة اللغوية".[3]

هكذا جمع طه حسين بين القديم والجديد في الأزهر والجامعة بين سيد على المرصفي الذي علمه كيف يقرأ النص العربي من الداخل كعملية أساسية في النقد ،وتعتبر هذه القراءة أساسية في العملية النقدية التي سيتعامل معها طه حسين في دراسته للنص الأدبي و" كارلو نلينو" الذي هو بدور علمه كيف يقرأ النص العربي قراءة من الخارج ،إذا سيمده بالمنهج الذي سيقدم له طه حسين قراءته الأولى للناس في صياغة جديدة تكشف عن أشياء ذات بال كما قال ، حي يتمكن الناس من فهمها وتكون قريبة إليهم ولايشعرون

[1] يوسف بكار:المرجع السابق،ص16.

[2] المرجع نفسه،ص17.

[3] احمد بوحسن : الخطاب النقدي عند طه حسين ، ص 38.

بالاغتراب إزاءها كما حصل لطه حسين .[1]وعليه إن طه حسين عقلا بسيطا في حياته ،ذلك أن فكره كان مزيجا بين ثقافتي الغرب والشرق حيث تلقى تعليمه العالي في مصر وفرنسا .وأصبح له هو الأخر له رواده ومؤيدوه الذين ساروا على منهجه .

[1]احمد بوحسن، المرجع السابق، ص 39.

الفصل الأول:

منهج الشك الديكارتي عند طه حسين في "الأدب الجاهلي"

❖ الفصل الأول : منهج " الشك الديكارتي " عند طه حسين " في الأدب الجاهلي "

❖ المبحث الأول : ديكارت ومفهومه للشك .

1- الإستقلال العقلي .

2- اليقين المطلق .

❖ المبحث الثاني : طه حسين ومبدأ الشك الديكارتي .

1- مفهوم منهج الشك عند طه حسين .

2- الإختلاف بين منهج ديكارت ومنهج طه حسين .

❖ المبحث الثالث : تطبيق طه حسين منهج " الشك الديكارتي في الأدب الجاهلي"

1- دوافع شكه في الشعر الجاهلي .

2- الأدب الجاهلي واللغة .

3- اختلاف اللهجات.

4- وضع ونحل الشعر الجاهلي .

5- شكه في. شعر الشعراء

6- النقد الموجه للكتاب.

❖ المبحث الأول:

1/منهج "الشك" عند ديكارت :

ا/ مفهوم منهج الشك:

منهج الشك: منهج يفرضه الباحث أو الفيلسوف بمحض إرادته لاختبار ما لديه من معارف ومعلومات محاولا بذلك تطهير عقله من كل ما يحويه من أكاذيب و مغالطات ،وتدريبه على تكوين ملكة النقد و التحليل من أجل مناقشة المبادئ الأولية السابقة للوصول إلى مبادئ أولية أخرى واضحة و مميزة بحيث يقيم عليها قضايا يقينية [1].

كما يتمثل هدف الفلسفة الرئيسي في التوصل إلى الحقيقة و معرفتها معرفة يقينية مطلقة و بالرغم من أنه لا يوجد شيء أقدم من الحقيقة كما يقول ديكارت إلا إنها لا يمكن أن تؤخذ ببساطة عن طريق التقليد ،وقد اتخذ ديكارت الشك المنهجي طريقا للوصول إلى الحقيقة ،والشك المنهجي يختلف عن الشك المذهبي أو الارتيابي ،والشك المنهجي تواجهه عقبات و صعاب و حتى يأمن المرء العثار أثناء السير فيه لابد من توفر شروط معينة و من بين هذه الشروط نذكر :

- **الاستقلال العقلي**
- **اليقين المطلق**

أولا:الاستقلال العقلي : لقد حرص ديكارت على إزالة كافة العقبات التي تحول بينه و بين الرؤية الفلسفية المعتمدة على نور العقل الفطري و في ذلك يقول :[2]

"فإني تعلمت ألا اعتقد اعتقادا جازما في شيء ما بحكم التقليد أو العادة و بذلك تخلصت شيئا فشيئا من كثير من الأوهام التي تستطيع أن تخمد فينا النور الفطري و تنقص من قدراتنا على التعقل"[3].

---

[1] الموسوعة الفلسفية العربية ،معن زيادة، ج1، ط1، ص (1 /524).

[2] ديكارت،نقلا عن محمود حمدي الزقزوق ، المنهج الفلسفي بين الغزالي و ديكارت ،دار القلم ،الكويت،1983،ص70

[3] المرجع نفسه ،ص71.

و هكذا نجد أن ديكارت يقر بضرورة اعمال العقل و التخلي عن الأفكار الفطرية الخامدة في عقولنا لأن طبيعة المنهج تتطلب هذا وأن التفكير يكون تفكيرا عقلانيا لا وجود فيه للذاتية .

ثانيا:اليقين المطلق: يوصي ديكارت كل باحث عن الحقيقة يرفض كل علم لا يكون واضحا وضوحا مطلقا ،وهكذا بدأ ديكارت بفحص كل الآراء التي لديه بهدف البحث عما إذا كان يوجد بين هذه الآراء معارف حقيقية لا يمكن أن يتطرق إليها الشك بحال من الأحوال و هنا يجب التخلي عن كل معرفة يكون فيها بالشك مجال فلا يتبقى في النهاية إلا المعارف اليقينية ويشبه ديكارت ذلك بالمهندس عندما يريد أن يقيم بناء ثابتا حيث يعمل في الحفر في المكان المطلوب إقامة البناء عليه ،ويقوم بإزالة كل الرمال و المخلفات حتى يصل في النهاية إلى الأرض الصلبة فيقيم عليها بناءه الراسخ [1].

فديكارت يقصد باليقين المطلق الأساس الصحيح الذي يجب أن نبني عليه معارفنا حتى نصل إلى معرفة مؤكدة لا مجال للشك فيها.

[1] المرجع السابق ،ص ص73,72 .

❖ المبحث الثاني: طه حسين و مبدأ الشك الديكارتي :

1) منهج الشك عند طه حسين :

يروق لطه حسين ما فعل كتاب تجديد ذكرى أبي العلاء من ضجة ،فيخرج كتاب آخر بعنوان "الشعر الجاهلي" سنة 1986 و الذي استند فيه إلى مبدأ أخر أو نظرية أخرى في البحث و هي نظرية ديكارت في منهاجه المشهور إلا أن الضجة التي أثارت حول الكتاب اضطرته إلى التغيير فيه فاستبدل العنوان بـ"الأدب الجاهلي" و حذف فصل و كتب ثلاثة فصول مكانه ، و ظل طه حسين مصرا على إتباع منهج ديكارت ،مخالفا بذلك المنهج الذي أسنده لنفسه في كتابه السابق "تجديد ذكرى أبي العلاء"، بل يرد على نفسه حين يتحدث عن مؤرخ الآداب فيقول :"وهبه استطاع أن يبرأ من ذوقه و من شخصيته ، وأن يعالج أثار الأدباء كما يعالج أصحاب الكيمياء عناصره في معلمه ، فأول نتيجة لهذا أن يصبح تاريخ الآداب جافا ،بغيضا و أن تنقطع الصلة بينه و بين الأدب الإنشائي"[1].

إذن فطه حسين يغير في بحثه الأدب الجاهلي، وقد كان الأسلوب الذي اتخذه في كتابه هو المنهج الفلسفي الذي جاء به ديكارت للبحث عن حقائق الأشياء.

يقول غالي شكري: "إن المنهج الذي اتبعه طه حسين قد استعاره من ديكارت الفيلسوف الفرنسي ، وهو منهج الشك في كل شيء و القاعدة الأساسية لهذا المنهج أن يتجرد الباحث من كل شيء كان يعلمه من قبل و أن يستقبل موضوع بحثه خالي الذهن مما قيل فيه خلوا تاما "[2].

و معنى هذا أن يتبع الباحث الطريقة العلمية و يخلي الذهن من كل ماقيل فيه من قبل.

لقد أعلن طه حسين تبنيه لمنهج الشك في منهجه النقدي فقد قال: أريد أن اصطنع في الأدب هذا المنهج الفلسفي الذي استحدثه "ديكارت" للبحث عن حقائق الأشياء في أول هذا العصر الحديث و الناس جميعا يعلمون أن القاعدة الأساسية لهذا المنهج هي أن يتجرد

[1] حنا عبود: المدرسة الواقعية في النقد الحديث ،منشورات وزارة الثقافة و الإرشاد القومي، دمشق ،1978،ص 11.

[2] غالي شكري: النهضة و السقوط في الفكر المصري ،دار الطليعة، بيروت ،1982، ط2، ص247.

الباحث من كل شيء كان يعلمه من قبل ، و أن يستقبل موضوع بحثه خالي الذهن مما قيل فيه خلوا تاما [1].

فالقاعدة الأولى في منهج ديكارت هي :"لا يسلم شيئا مالم أعلم أنه الحق" و لكن كيف يعلم ديكارت أن هذا الشيء حق؟إنه يعلم ذلك عن طريق الإدراك بالحدس المباشر و غير المباشر أو الاستنباط ،طارحا كل ما جاء عن طريق التاريخ و المؤرخين[2].

بعد كل هذا فإن القاعدة الأولى التي تبناها ديكارت ينبغي تبنى على حقيقة و أن لا يتقبل شيئا ما لم يكن صحيح ثم بالطبع التخلي عن جميع الأحكام السابقة التي يمليها علينا الدين والمجتمع والعواطف.

أما القاعدة الثانية في منهج ديكارت فهي تقسيم كل مشكلة في البحث إلى أكثر ما يمكن إلى أجزاء ليتسن للباحث حلها بطريقة أفضل[3] ،وهذه القاعدة هي التحليل المنطقي الذي يعتبر ضروريا لحل المشاكل التي تعترض الإنسان[4] ،وهي مرتبطة بشدة بالقاعدة الثالثة ،وهي أنا ضع نظاما في تفكيري فابدأ بالأمرالأكثر بساطة و الأقرب منالا ،حتى ارتقي شيئا فشيئا و على سبيل التدريج إلى إدراك الأمورالأكثر تعقيدا ،وسأفترض أن ثمة علاقة منتظمة بين الأمور التي تتلاحق بصورة طبيعية[5].

استفاد طه حسين من القاعدة الثانية و الثالثة التي وضعها ديكارت و التي تتبنى تقسيم البحث إلى أجزاء تم تنظيمها حتى يتسنى للباحث حلها بطريقة جيدة.

و هذا ما طبقه طه حسين حيث بدأ بالأمور الأقرب منالا التي يمكن أن يتحقق منها ،فحين يتساءل عن إمكانية وجود أدب جاهلي، نجده يربط ذلك بشرط تمثيل هذا الأدب بصدق لحياة العرب الجاهليين ، من النواحي الدينية والعقلية والاقتصادية.

هذا ما فهمه طه حسين و على هذا الأساس صار يدرس النصوص دراسة ناقد بصير ،أسلوبه أن يكون العقل متحررا من كل الرواسب القديمة حتى يصل إلى نتائج يقرها هذا

---

[1] طه حسين:في الأدب الجاهلي،دار المعارف ،مصر،1969،ط13،ص67.

[2] حنا عبود،المرجع السابق،ص12 .

[3] جينفياف رودس لويس،ديكارت و العقلانية ،ترجمة عبده الحلو ،ط2،بيروت،منشورات عويدات ،1977،ص21.

[4] موسى الموسري ،فلاسفة أوربيون من ديكارت إلى برغسون،ط1،بغداد،دار الميسرة 1980،ص10.

[5] جينفياف رودس لويس،المرجع السابق،ص ص21،22.

العقل و يرضى عنها الفكر المتحرر و هذا ما قاله في مستهل كتابه في الأدب الجاهلي :"أريد ألا تقبل شيئا مما قاله القدماء في الأدب و تاريخه إلا بعد بحث و تثبت إن لم ينتهيا إلى اليقين فقد ينتهيان إلى الرجحان ...."[1].

ويحدثنا أيضا عن منهجه فيقول :"أريد أن أقول أني سأسلك في هذا النحو من البحث مسلك المحدثين من أصحاب العلم و الفلسفة فيما يتناولون من العلم و الفلسفة "[2].

لقد اعتمدت قراءة طه حسين للشعر الجاهلي الأسس التالية:

1_وصف وضعية الأدب ودراسته في مصر والمناهج التي عرفتها الساحة الثقافية في مصر.

2_ عرض مقاييس تاريخ الأدب و تبني المقياس العلمي و الفني.

3_ اشتراط الحرية لدراسة الأدب كما هو الشأن و بالنسبة لدراسة العلوم لذاتها.

وكان الغرض من اعتماد هذه الأسس وعرضها في الكتاب الوصول إلى قراءة النص الأدبي من خلال النموذج الأوروبي،بحيث يجب إعادة قراءة تاريخنا الأدبي وفقا لما فعل الأوربيون حيث أعادوا النظر في تاريخهم الأدبي حتى إذا ما استقامت له مثل هذه القراءة التي يدعو إليها حاول أن يجعل من الأدب مؤسسة مستقلة مثل باقي المؤسسات العلمية التي تهتم بالعلم لذاته ،ويعبر طه حسين عن ذلك بقوله :"الأدب في حاجة إلى هذه الحرية ،وهو في حاجة إلى أن يتحرر من التقديس،هو في حاجة إلى أن يكون كغيره من العلوم قادرا على أن يخضع للبحث و النقد و التحليل والشك والرفض والإنكار لأن هذه الأشياء الخصبة حقا ،واللغة العربية في حاجة إلى أن تخضع لعمل الباحثين كما تخضع المادة لتجارب العلماء.....فلتكن قاعدتنا إذن أن الأدب ليس علما من علوم الوسائل يدرس لفهم القرآن و الحديث فقط ،وإنما هو علم يدرس لنفسه و يقصد به قبل كل شيء إلى تذوق الجمال الفني فيما يؤثر من الكلام"[3].

إذا كان طه حسين يحاول أن يجرد الأدب من محاولاته الثقافية و الدينية و غيرها و يركز على النص الأدبي لذاته مثلما فعلت باقي العلوم الأخرى فإن هذا المبدأ العام أساسي

---

[1] سامح كريم : معارك طه حسين الأدبية و الفكرية،دار القلم ،بيروت ،لبنان ، ط1،1977،ص70.

[2] طه حسين : في الأدب الجاهلي ،ص67.

[3] طه حسين ، المصدر نفسه ،ص ص60،61.

في فهم مشروع قراءته ،ولا يخفى هنا ما للنظرة "الديكارتية" من أثر واضح على قراءة طه حسين،تلك النظرة التي أشار إليها بكل وضوح في كتاباته[1].

نفهم من هذا كله أن طه حسين ينطلق من مسلمة هي أن في دراستنا للأدب يجب أن نستند إلى العقل وحده دون الاعتماد على أي شيء تمليه العاطفة الدينية أو العواطف القومية.

2) الاختلاف بين منهج ديكارت و منهج طه حسين:

إن ديكارتية طه حسين المزعومة إشاعة صدرت عنه أولا ،فقد أثبت في أكثر من مكان من كتاباته انه اصطنع المنهج الفلسفي الذي استحدثه ديكارت ،وفي كلمة اصطنع قدر كبير من التواضع ،فلم يقل مثلا أنه التزم ،ومع ذلك تبقى كلمة اصطنع موضع شك حين نقارن بين المنهجين ،ويستطيع القارئ غير المتخصص فضلا عن القارئ المتخصص أن يدرك أن بين منهج ديكارت و منهج طه حسين فرقا شاسعا، المنهج الأول فلسفي و منهج الآخرأدبي صرف ،شك الأول وسيلة لليقين و شك الأخر وسيلة للإنكار ،كان ديكارت فيلسوف فشغلته قضايا الجوهر و البحث الكائن الوحيد وحقيقة الذات و الوجود المستقل عن الذات و غيرها من القضايا الفلسفية التي لم يشر إليها طه حسين لا من قريب ولا من بعيد فيما كتب من كتابات ،وهذا لا يعني أن طه حسين لم يقرأ ديكارت أو لم يقرأ عنه ، لكن الذي لا مراء فيه أنه لم يتأثر بفكره و منهجه بنفس الدرجة التي تأثر بها بمناهج الكتاب و المفكرين الإسلاميين الذين قرأ لهم في الأزهر[2].إلا أنه بالرغم من شكلية ،العلاقة بين منطلق الشك لدى طه حسين في دراسته الأدب الجاهلي و بين المقومات الفلسفية لمذهب الشك لدى ديكارت ،ينبغي الاعتراف بالدور الإيجابي الكبير الذي أداه طه حسين مقتحما و رائدا،في مجال دراسة التراث الفكري العربي الإسلامي ،فإن محاولته في هذا المجال ، إنتاج صيغة جديدة معاصرة لمعرفة هذا التراث ،ثم محاولته استيحاء مناهج

[1] احمد بوحسن ،الخطاب النقدي عند طه حسين ،ص109.

[2] عبد العزيز المقالح،عمالقة عند مطلع القرن،دار الآداب ،بيروت، ط1،1998 ، ص46.

البحث العلمي الحديثة في إنتاج هذه الصيغة [1] هما بذاتيهما كانتا في عشرينات هذا القرن سابقة فكرية و تاريخية ذات قدر عظيم.

❖ المبحث الثالث:

تطبيق طه حسين منهج "الشك الديكارتي" في الشعر الجاهلي.

لقد كتب طه حسين كتابه "في الشعر الجاهلي" سنة 1926 و الذي عرف فيما بعد بعنوان ثاني "في الأدب الجاهلي" محاولا وضع تصور نظري يحكم به قراءة النص العربي القديم ،وقد ضم في كتابه هذا ثلاث مبادئ أساسية يتفرع كل منها إلى مباحث فرعية تتناول فيما يلي:

_ الدوافع التي دفعته إلى الشك في الشعر الجاهلي.

_ الأسباب التي يرى بأنها أدت إلى نحل الشعر ووضعه الجاهلي.

_ تحدث فيه شعراء بذاتهم [2].

1) دوافع شكه في الشعر الجاهلي:

لقد نظر طه حسين في هذا الشعر الذي يسمى بالجاهلي فرأى فيه عدة أشياء راتبه ،وانتهى إلى كثرته المطلقة ليست جاهلية و إنما هي منحولة بعد ظهور الإسلام [3] ومن بين الأمور التي راتبه كونه:

أ_ لا يعكس الحياة الدينية للجاهليين.

ب_ لا يعكس الحياة الاقتصادية للجاهليين.

جـ_ يرينا الأخلاق على غير ما هي عليه في القرآن.

د_ لا يتحدث عن البحر الذي يحيط بالجزيرة العربية.

و باختصار فإن الأدب الجاهلي لا يعكس الحياة الاقتصادية الجاهلية بصدق على نحو ما يعكس شعر عمر بن ربيعة و شعر أبي نواس و كتابات الجاحظ ،عصور هؤلاء الكتاب و الشعراء.

---

[1] د.مروة حسين:النزاعات المادية في الفلسفة العربية الإسلامية/مج/1،دار الفرابي ،بيروت،1981،ط4،ص272.

[2] ناصر الدين الأسد،مصادر الشعر الجاهلي و قيمتها التاريخية ، دار الجيل ، بيروت ،ص381.

[3] المرجع نفسه،ص382.

ثم يذهب إلى أن القرآن أصدق مرآة للعصر الجاهلي ،وأن نص القرآن ثابت لا يتغير لا سبيل لشك فيه ،ويرى أن هذه القضية وإن تبدو لنا غريبة عند سماعها ،لكنها بديهية عند التفكير فيها و يقول في ذلك "ليس من اليسرأن نفهم أن الناس قد أعجبوا بالقرآن حين تليت عليهم آياته إلا أن تكون بينهم و بينه صلة هي هذه الصلة التي توجد بين الأثر الفني البديع وبين الذين يعجبون به حين يسمعونه أو ينظرون إليه ،ويرى أن القرآن يمثل لنا شيئا أخر.

ا/الحياة الدينية: رأى أن القرآن يمثل لناحية دينية قوية تدعو أهلها إلى أن يجادلوا عنها ما وسعهم من الجدال [1] فيقول"إذن القرآن أصدق تمثيلا للحياة الدينية عند العرب من هذا الشعر الذي يسمونه جاهلي"[2] .

و عليه فإن طه حسين هنا ينفي عن الشعر الجاهلي تمثله للدين او العاطفة الدينية و يثبته على النص القرآني .

ب)الحياة العقلية: ثم ينتقل إلى الحياة العقلية و الحضارية ويرى أن القرآن لا يمثل حياة دينية فحسب بل يمثل أيضا حياة عقلية فيقول:"افتظن قوما يجادلون هذه الأشياء حيث لايصفه القرآن بالقوة و يشهد لأصحابه بالمهارة،افتظن هؤلاء القوم من الجهل و الغباوة والغلظة والخشونة بحيث يمثلهم لنا هذا الشعر... كلا إنهم لم يكونوا جهالا ولا أغبياء و إنما كانوا أصحاب علم وذكاء وأصحاب عواطف رقيقة"[3] .

وعليه فان العرب لم يكونوا جهالا وخشن في الجاهلية وإنما كانوا أذكياء يتمتعون بعواطف رقيقة.

ج)الحياة السياسية: ثم يذهب إلى أن الشعر الجاهلي لا يصور الحياة السياسية للجاهليين عكس القرآن الذي يحدثنا بأن العرب كانوا على اتصال قوي بمن حولهم من الأمم ،وقد قسمهم إلى أحزاب وفرقهم إلى شيع[4].إذ أن العرب لم يكونوا كما نعتهم الشعراء الجاهليون منعزلين في جزيرتهم ،فالقرآن يصف عنايتهم بسياسة الفرس

[1] ناصر الدين الأسد، المرجع السابق، ص381.

[2] طه حسين،في الأدب الجاهلي ،ص ص70,71 .

[3] المصدر نفسه،ص ص74,75.

[4] المصدر نفسه،ص74.

والروم ،ويصف اتصالهم الاقتصادي بغيرهم من الأمم في سورة قريش "لإيلاف قريش ايلا فيهم رحلة الشتاء و الصيف "[1] و كانت هاتين الرحلتين إلى الشام و اليمن.

د)الحياة الاقتصادية: يرى طه حسين أنالقرآن يمثل حياة اقتصادية أيضا بينهم و بين الأمم الأخرى ،فيقول:"فكما أنك عرفت من القرآن وحده أن قد كانت للعرب حياة تجارية وصلت بينهم وبين الأمم الأخرى"فستعرف من القرآن .... وحده أن قد كانت فيما بينهم و بين أنفسهم حياة اقتصادية، وقت ظهور النبي".

كما يرى أنالقرآن يمضي في تمثل الحياة الاجتماعية في قوله "أما القران فيمن على العرب بأن الله سخر لهم البحر و بين لهم في البحر منافع".

يختم طه حسين بقوله" أرأيتأن التماس الحياة العربية الجاهلية في القرآن أنفع وأجرى من التماسها في هذا الأدب العقيم الذي يسمونه الأدب الجاهلي..."[2].

2/الأدب الجاهلي و اللغة :

يشير طه حسين إلى أن هذا الأدب الجاهلي الذي رأينا أنه لا يمثل الحياة الدينية و العقلية و السياسية و الاقتصادية للعرب الجاهليين بعيد كل البعد من أن يمثل اللغة العربية ويقول بأن الرواة قد اتفقواعلى أن العرب ينقسمون إلى قسمين قحطانية منازلهم الأولى في اليمن ،وعدنانية منازلهم الأولى في الحجاز و اتفقوا على أنه هناك اختلاف بين لغة حمير (العاربة) ولغة قحطان وهي (المستعربة) واتفقوا على أن اللغة الحميرية شيء و اللغة الفصحى شيء أخر ،وأن اللغة العربية صلتها باللغة الحميرية كالصلة بين العربية و أية لغة سامية أخرى.[3]

و بهذا نفى طه حسين معظم شعراء اليمن فقال:"إن ما يضاف إلى شعراء اليمن الجاهليين من شعر و خصائصها من نثر و سجع في اللغة العربية الفصحى و القران متكلف منحول لا سبيل إلى قبوله لأنهم كانوا يتكلمون لغة أو لغات أخرى".[4]

---

[1] طه حسين ،في الأدب الجاهلي ،ص75.

[2] المصدر نفسه،ص ص79,80 .

[3] نفسه ،ص ص80 ،81.

[4] نفسه،ص ص 82 ،83.

ثم ينظر إلى أشعار هذه القبائل التي يقال بأنها قبائل قحطانية ،هاجرت إلى شمال البلاد العربية ،وكانت تتكلم لغة عدنانية ،وأنها كانت تسمى قحطانية و تنسب نفسها إلى قحطان ،إلى أنها كانت تترد أحيانا و تنسب نفسها إلى عدنان.[1]

ويختم هذا بقوله :"نحن إذن إزاء لغتين إحداهما كانت قائمة في الشمال و التي تريد أن تؤرخ آدابها ،والأخرى كانت قائمة في الجنوب و هي التي تمثلها النصوص الحميرية والسبئية ولااسراف ولا تنشط حين تنكر ما يضاف إليها اهل الجنوب من شعر وسجع ونثر قبل بلغة أهل الشمال قبل الإسلام.[2]

إذن طه حسين ينفي تمثيل الشعر الجاهلي للغة العرب وهو لايعترف بلغة الجنوب التي قبلت بلغة الشمال قبل الإسلام.

3/اختلاف اللهجات:

ناقش هنا طه حسين فيها القراءات السبعة أحرف وقد خلص إلى أن هناك نصوصا صحيحة تمثل لغتين مختلفتين ،وهما لغة الشمال و لغة الجنوب ،وقد رأى فرض لغة قريش على القبائل فرضا لا يعتمد على السيف و إنما يعتمد على المنفعة وتبادل الحاجات الدينية والسياسية والاقتصادية ،وقد تناول أيضا لغة قريش و كيف نشأت وكيف تطورت حتى أن وصلت إلى هذا الشكل الذي يتمثل في القرآن .[3]

و يرى أن الشعر الجاهلي لا تستطيع أن ترى من خلاله اختلافا في اللغة و تعددا في اللهجات ويقدم مثالا فيقول :"فأنت تستطيع أن تقرأ هذه المطولات أو المعلقات التي يتخذها أنصار القديم نموذجا للشعر الجاهلي الصحيح ،فسترى فيها مطولة لامرئ ألقيس وهو من كندة أي قحطان ،وأخرى لزهير ،وأخرى لعنترة ,وثالثة للبيد ،وكلهم من قيس ،ثم قصيدة لطرفة ،وقصيدة لعمرو بن كلثوم ،وأخرى للحارث بن حلزة

[1] المصدر السابق، ص ص86 ,85.
[2] المصدر نفسه،ص92.
[3] نفسه ،ص ص 95،96

،وكلهم من ربيعة .تستطيع أن تقرأ هذه القصائد دون أن تشعر فيها بشيء يشبه أن يكون اختلاف في اللهجة أو تباعد اللغة ...أو تباين في مذهب الكلام ...".[1]

معنى هذا أنه لا يمكن أن نعرف من خلال الشعر رغم اختلاف شعراءه أنه يوجد اختلاف في اللغة و اللهجة، وان اللغة التي نجدها في القران الكريم و الحديث النبوي هي لغة قريش.

4/وضع الشعر ونحله:

يخصص طه حسين حيزا كبيرا فيها تبقى من الكتاب ،لبيان الأسباب التي عملت الناس على وضع الشعر والنثر ونحلهما بعد الإسلام ،وكان يهدف في بسطه لهذه الأسباب أن يدعم نظريته حول الأدب الجاهلي ،ويؤكد صحتها.

وقد رد طه حسين أسباب النحل والوضع إلى خمسة أمور هي:

1/السياسة:

يحصر طه حسين مدلول السياسة في العصبية القبلية ،وهو يمثل ذلك بمثالين :

أ/العصبية بين المهاجرين و الأنصار : وقد أثبتت ذلك بروايتين:

الرواية الأولى: ما يروى من أن عمر قد حال أيام الخلافة بين قريش و الأنصار وبين الفتنة بحزمة، "فالرواة يحدثوننا أن عمرقد نهى عن رواية الشعر الذي تهاجى به المسلمون و المشركون أيام النبي" [2] ،وقال أيضا "ان هذه الرواية نفسها تثبت رواية أخرى ،وهي أن قريشا و الأنصار تذكروا ما كان قد هجا بعضهم بعضا أيام النبي ،وكانوا حرصاء على روايته ،يجدون في ذلك من اللذة و الشماتة مالا يشعر به أصحاب العصبية القوية إذا وتى أو انتصر ".[3]

---

[1] نفسه،ص ص93,94 ، وينظر ناصر الدين الأسد،المرجع السابق،ص385.

[2] طه حسين ،في الأدب الجاهلي ،ص120.

[3] المصدر نفسه ،نفس ص.

ويقول في هذا المطاف أيضا "ويكفي أن أقص عليك ماكان من تنافس الشعراء من الأنصار وغيرهم عند معاوية ويزيد بن معاوية لنعلم إلى أي حد عاد العرب في ذلك الوقت عصبيتهم القديمة.[1]

أما الرواية الثانية فهي ماذكره منسوبا لابن سلام قال :"وقد نظرت قريش فإذا خطها قليل في الجاهلية ،فاستكثرت منه في الإسلام ،وقد عقب على ذلك فقال :"وليس عندي في أنها قد استكثرت بنوع خاص من هذا الشعر الذي يهجى فيه الأنصار".[2]

ب)العصبية القبلية:يقول طه حسين :"فأنت تستطيع أن تتصور هذه القبائل العربية في هذا الجهاد السياسي العتيق تحرص كل واحدة منها على أن يكون

قديمها في الجاهلية خير قديم ،وعلى أن يكون مجدها رفيعا مؤثلا بعيد العهد "[3]

ثم يضرب مثال لهذه الصراع القبلي لحياة امرئ ألقيس وشعره :فيقول :"ونحن نذهب هذا المذهب نفسه في تفسير هذه الأخبار والأشعار التي تمس تنقل امرئ ألقيس من قبائل العرب فهي محدثة نحلت حين تنافست القبائل العربية في الإسلام ،وحين أرادت كل قبيلة وكل حي أن تزعم لنفسها من الشرف والفضل أعظم حظ ممكن .[4]

ثم يخلص إلى نتيجة وهي:"أن هذا الفصل الطويل ينتهي بنا إلى نتيجة نعتقد أنها لا تقبل الشك هي أن العصبية ومايتصل بها من المنافع السياسية قد كانت من أهم الأسباب التي حملت العرب على نحل شعرهم للجاهليين.[5]

---

[1] المصدر نفسه،ص121.

[2] طه حسين،المصدر السابق،ص122.

[3] المصدر نفسه،ص130.

[4] نفسه،ص200.

[5] نفسه،ص132.

2/ الدين و نحل الشعر:

يذهب طه حسين إلى أن العواطف الدينية على اختلافها وتنوع أغراضها لها من التأثير ما للعواطف السياسية في نحل الشعر وإضافتها للجاهليين.[1]

لقد كان هذا النحل المتأثر بالدين يشكل أشكالا مختلفة منها ما يتصل بتعظيم شأن النبي من ناحية أسرته ونسبه في قريش.[2]

ومنها أيضا يلجأ إليه القصاص لتفسير ما يجدونه في القران من أخبار الأمم القيمة البائدة ،وكذلك حين ظهرت الحياة العلمية عند العرب بعد أن اتصلت الأسباب بينهم وبين الأمم المغلوبة ،ونوع أخر من تأثير الدنيا في نحل الشعر وهي الخصومات العلمية والتي كانت تحدد مكانة العالم وشهرته ،وأنت تستطيع أيضا أن تحمل على هذا لونا أخر من تأثير الشعر المنحول لم يضف إلى الجاهليين من عرب الإنس إنما أضيف إليه من عرب الجن.[3]

هذا ما استطاع طه حسين أن يأتي به من أشكال مختلفة كانت قد لعبت دورا مهما في تأثير الدين على نحل الشعر للجاهليين.

3) القصص ونحل الشعر:

وهنا يعرض طه حسين للقصص و للقصاصين ،فبعد حديثه عن نشأة القصص وقيام طائفة القصاص يقول :وأنت تعلم أن القصص العربي لا قيمة له ولا خطر في نفس سامعيه إذ لم يزينه الشعر من حين لأخر..."إذن فقد كان القصاص أيام بني أمية وبني عباس يحتاجون إلى مقادير لا حد لها من الشعر يروون لها قصصهم ،ويدعمون لها مواقفهم المختلفة فيه انه لا يكاد يشك أن هؤلاء القصاص لم يكونوا يستقلون

[1] نفسه،ص147.

[2] طه حسين ،في الأدب الجاهلي،ص ص133-135.

[3] نفسه،ص ص138-139.

لقصصهم،ولا بما يحتاجون إليه من الشعر في هذا القصص،وإنما كانوا يستعينون بأفراد من الناس يجمعون لهم أحاديثهم والأخبار ويلفقونها.[1]

ثم يتحدث عن ضروب القصص والتي قسمها إلى ثلاثة وهي :

1) قصص لتفسير طائفة من الأمثال والأسماء والأمكنة
2) وقصص المعسكرين وأخبارهم
3) قصص أيام العرب وأخبارهم.[2]

4) الشعوبية ونحل الشعر:

يرى طه حسين بأن الشعوبية قد كان لها دور قوي في افتعال الشعر ونحله ،حين فتح المجال لهؤلاء الشعوبيين من الجيل الثاني من الموالي الذين اندمجوا في الأوساط العربية وتعلموا لغتهم فوجدوا متنفسا لهم حيث أصبحوا مقربين من المعسكرين الأموي والعباسي .حيث ماكاد ينتصف القرن الأول للهجرة حتى ،

كان فريق من بين الفرس قد استعرب وأتقن العربية، واستوطن الأقطار العربية الخالصة..وأخذ يحاول نظم الشعر العربي على نحو ما كان ينظم شعراء العرب في أغراضهم الشعرية السياسية الأخرى. [3]

يقر طه حسين هنا بالدور البارز للشعوبية في نحل الشعر ومشاركة العرب في مختلف الأغراض الشعرية ،فقد كانوا يتقنون العربية ويجارون الشعراء العرب في نظم الشعر .

غير أن هؤلاء الشعراء الشعوبيون لم تكن نواياهم حسنة اتجاه العرب حيث "لم يكن هؤلاء الموالي مخلصين للعرب حقا وإنما كانوا يشغلون هذه الخصومة بين الأحزاب

[1] نفسه،ص ص168-169.
[2] نفسه،ص ص174-179.
[3] طه حسين، المصدر السابق ،ص160.

السياسية....ليخرجوا من الرق أو حياة الولاء إلى حياة تشبه الأحرار والسادة من جهة، ثم ليشفوا ما في صدورهم من غل، وينفسوا عن أنفسهم من جهة أخرى...."[1]

5)الرواة ونحل الشعر :

هنا يقف طه حسين عند طائفة أخرى من الأسباب .فيتحدث الرواة الذين نقلوا لنا الأدب العربي ،ويقسمهما إلى اثنين :إما أن يكونوا من العرب ،فهم متأثرون بما كان يتأثر به الموالي من تلك الأسباب العامة، أو متأثرين بأسباب أخرى تعود إلى مجون الرواة وإسرافهم في اللهو والعبث .[2] ،ثم أنه لا يطمئن إلى مانقله إلينا حتى الآن أولئك الرواة لكونهم خدعونا مرة واحدة .[3] وهناك طائفة من الرواة غير هؤلاء يرى طه حسين بأنهم الأعراب الذين كانوا يرتحل إليهم في البادية يسألونهم عن الشعر والغريب .

وبعد هذا التحليل الدقيق الذي قام به طه حسين لمختلف الأسباب التي أدت إلى نحل الشعر ووضعه يخلص إلى أن كل شيء في حياة المسلمين في القرون الثلاثة الأولى كان يدعو إلى الشعر سواء كانت حياة الأتقياء والبررة أي الحياة الصالحة أو حياة الفسق وأصحاب المجون وهي الحياة السيئة.[4]

3/شكه في شعر شعراء:

بعد أن فصل طه حسين في الأسباب التي أدت إلى نحل الشعر ووضعه ذهب إلى حياة بعض الشعراء وأشعارهم ليبرهن على صحة نظريته في الانتحال ،وقد كان امرئ ألقيس أول الذين عرض لهم ،فقد شك في سيرته كما رواه الرواة ،كما شكك في شعره وذلك لعدة أسباب منها تضارب الرواة في اسمه وكنيته ونسبه وحياته[5] كونهم لم يعرفوا عن امرئ ألقيس الحقيقي إلا اسمه . لينتقل بعد ذلك إلى شكله في علقمة وعبيد لقلة ما

[1] المصدر نفسه،ص ص161-162.

[2] نفسه،ص172.

[3] جنيفياف روديس لويس ،ديكارت والعقلانية،ص34.

[4] طه حسين،المصدر السابق،ص ص173-174.

[5] المصدر نفسه،ص195.

وصلنا عنهما وعن أشعارهما من أخبار ،فكل ما نقرأه عنهم لا يعطينا من شخصيتهما شيئا،ولا يبعث الاطمئنان إلا في أنفس العامة.[1]

إذن فطه حسين يرى في هؤلاء الشعراء الثلاثة (امرئ القيس،علقمة وعبيد) مايبعث في نفس القارئ والباحث الشك لكون مايصلنا عنهم لا يكاد يكون صحيحا.

نفس الشيء بالنسبة لعمرو بن قميئة ،مهلهل وجليلة فيقول في عمر بن قميئة " أن عمرو بن قميئة ضاع كما ضاع امرئ القيس من الذاكرة ،ولم يعرف عن أمره شيء"[2] ،وشخصية المهلهل ليست بأوضح من سابقيه وجليلة أيضا يضيفها فيشك فيها وفي شعرها فيقول:"أيستطيع شاعر أو شاعرة في هذا العصر الحديث أن يأتي بأشد منه في سهولته ولينه".[3]

وعليه إن معظم الشعراء الذين تطرق لهم طه حسين في هذا الفصل يشك فيهم وفي قدراتهم الشعرية انطلاقا من الروايات والأساطير المزيفة التي روت عنهم .

4/شكه في الشعر المضري:

أما رأيه في الشعر المضري ،فيرى أن مضرقد نحلت كما نحل غيرها لذهاب شعرها الصحيح ،وهو لا ينكر الشعر المضري الجاهلي وإنما يقف منه موقف الشك والاحتياط،

فهو لا يشك في أن هذا الشعر قديم العهد، وانه قد ضاع ولم يبقى منه إلا الشيء القليل، والذي يعني قد نحل واضطرب وكثر فيه الخلط والتكلف حتى أصبح من العسير جدا تلخيصه وتصفيته.[4]

[1] المصدر نفسه،ص209.

[2] المصدر نفسه،ص ص213-212.

[3] طه حسين:في الأدب الجاهلي،ص ص218-217.

[4] المصدر نفسه،ص ص248-247.

وعليه فإن طه حسين لم ينفي تمثل الشعر للمضرين في الجاهلية لكنه غير متأكد وهذا ما دفعه إلى الشك ،ثم أن البحث عن الشعر الصحيح فيه نوع من المشقة والتعب.

وبعد ذلك انتقل إلى انتقاد الذين يرون في **غرابة اللفظ** مقياسا لتحقيق الشعر الجاهلي، إذ يرى أنه لا ينبغي أن تتخذ السهولة دليلا على النحل و الجدة[1] ،إذا فإن الخشونة والغرابة عند طه حسين ليست مقياسا على الحكم بان هذا الشعر جاهلي.

أما عن **بداوة المعنى** فهو يرفض هذا المقياس تماما إلا انه لايوجد فرق بين ألفاظ الشعراء الذين عاشوا في المدن والشعراء الذين عاشوا في البادية ،ثم أنه يتساءل بعد ذلك فيقول :"كيف تستطيع أن تقول بان التصور البدوي والخيال البدوي والمعنى البدوي يكفي ليكون الشعر جاهلي؟ ثم أن العرب لم يتحضروا كلهم في الإسلام ".[2]

صحيح ماذهب إليه طه حسين فنحن نجد أحيانا شعراء عاشوا بعد الإسلام لكنهم يستعملون ألفاظ ومعاني بدوية.

إن طه حسين نقل نظرية ديكارت في المعرفة ،وهي نظرية فلسفية تقوم على الاستبطان لنفي الشك "أنا أفكر أنا موجود ومن هذه المسلمة يشرع ديكارت في الانتقال إلى المعارف والحقائق المترتبة عن ذلك،وتطبيق هذه المعارف في مجال التاريخ الأدبي ليس من الحكمة في شيء إذ لا يمكن بشكل أو بأخر أن نستبعد كل ماجاء به الأولون ،كما فعل ديكارت ،لأن ثمة فرق كبير بين منهج ينطلق من الذات لمعرفة الوجود وبين منهج يوضع للبحث في التاريخ الأدبي وروافده.إن المنهج الديكارتي لم يوضع للباحث التاريخي ،فقواعده الأربع طبقت لإقامة مذهب فلسفي تقوم معارفه على أساس من الاستقرار العقلي شريطة أن يتخلص العقل من كل الأحكام التي ألفها في الطفولة والرشد والتي حملها مع الأصدقاء والمعلمين ،وعلى هذاالأساس أقام مذهبه في كتابه "مبادئ الفلسفة" ثم وضع بعض الأقسام أو المبادئ من هذا الكتاب "التأملات الميتافيزيقية".[3]

---

[1] المصدر نفسه،ص262.

[2] المصدر السابق،ص263

[3] حنا عبود:المدرسة الواقعية في النقد الحديث،منشورات وزارة الثقافة والإرشاد،دمشق ،1978،ص13.

6/النقد الموجه إلى الكتاب:

ا/موقف الرافضون للكتاب ومنهجه:

لقد كان لكتاب "في الأدب الجاهلي" أثر كبير ودوي شديد فأشرع كثير من العلماء والأدباء أقلامهم وتناولوا الكتاب وما فيه بالنقد والنقض ،وقد تفاوت نقدهم واختلفت طرائقهم ،فاعتدل بعضهم والتزم حدود الموضوع ،ومضوا ينتقدون في أسلوب هادئ ولفظ عف ،وغلا بعضهم فاشتدوا و انتشط وتجاوزوا الكتاب إلى التشهير بصاحبه وتجريحه[1] ،وقد تركز هجوم الجميع حول أربعة نقاط هي :

1)أنه كذب القرآن في إخباره عن إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام.

2)أنه أنكر للإسلام أولويته في بلاد العرب وأنه دين إبراهيم عليه السلام.

3)أنه أنكر القراءات السبع المجمع عليها فزعم أنها ليست منزلة من الله تعالى.

4)أنه طعن في نسبالنبي صل الله عليه وسلم .[2]

ولقد اتخذ أسلوب الهجوم طريقين :طريق المقال الصحفي ثم طريق الكتاب ،فقد خرجت عشرات الكتب كلها في نقد كتاب"في الأدب الجاهلي" والرد عليه ودحض أرائه أظهرها كتاب "تحت راية القرآن " للمرحوم مصطفى صادق الرافعي.

ونقد كتاب "الشعر الجاهلي" للأستاذ محمد فريد وجدي، و "نقض الشعر الجاهلي" للشيخ الخضر حسين ،وغيرها من الكتب.[3]

يذهب مصطفى صادق الرافعي في نقده للكتاب ،بأن طه حسين مجموعة أفكارمتناقضة ،واتهمه بالنفاق حيث قدم حديثا للنبي صل الله عليه وسلم :"إن أخوف ما

---

[1] ناصرالدين الأسد:مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية ،ص102.

[2] سامح كريم: معارك طه حسين الأدبية و الفكرية ،ص73.

[3] المرجع نفسه،ص73.

أخاف على أمتي كل منافق عليم اللسان"[1] وأنه في منتهى الجهل لأنه هناك فرق بين البحث عن حقيقة فلسفية عقلية محضة ،وبين البحث عن حقيقة أدبية تاريخية قائمة على النص وقول فلان [2] ،وأنه لمن القبح أن طه حسين أعلن في مقدمته تجرده من دينه عند البحث ،يريد أن يأخذ النشء بذلك إتباعا لمذهب ديكارت الفلسفي الذي يفضي كل باحث بالتجرد من كل شيء عندما يبحث عن الحقيقة.[3]

ومما أخذه الرافعي أيضا على طه حسين عن استخدام طه حسين لمنهج الشك الديكارتي فيقول :"إن خلاصة مذهب ديكارت أن لا تقر حقا لست على بينة انه حق وألا تقطع بالرأي حتى تكون على يقين من أنك فحصته ،ولم يفتك نص ولاشيء ...[4]

صحيح أن طه حسين أعلن تجرده من العواطف الدينية ،ولكن هذا لا يعني أنه كفر ونسيان لدينه ،أما فيما يخص استخدامه لمنهج ديكارت فإن الرافعي على حق في ذلك ،فطه حسين لم يعتمد ذلك فجعل فقرات لا تخلو من كلمة (أشك،الريبة) وهذا دليل على أن طه حسين ليس على يقين،وأيضا ليس متأكد من كلامه.

كما نجد أيضا الأستاذ احمد الغمراوي في كتابه "النقد التحليلي لكتاب الشعر الجاهلي" على طه حسين في نقطة ألا وهي القومية والدين واعتبارهما كشرط أساسي من شروط البحث العلمي قائلا :"إن العلم الصحيح والدين الصحيح ممكن اجتماعهما إذن وكثيرا ما اجتمعا ،كما إن العاطفة الدينية القوية لا تتعرضان بل تتضافران في خدمة العلم[5] .

وهذا يعني أن الدين يمكن له أن يكون مكمل للعلم في البحث العلمي.

أما الشيخ محمد الخضر حسين ،فقد نقض طه حسين في كتابه "نقض كتاب الشعر الجاهلي" فيقول فيه :"وقع تحت نظري هذا الكتاب ،وكتب على خبرة من حذق مؤلفه في

[1] سامح كريم:المرجع السابق،ص74.
[2] المرجع نفسه ،نفس ص74.
[3] المرجع نفسه،ص74-73.
[4] إبراهيم عوض:معركة الشعر بين الرافعي وطه حسين،دار الكتب،شارع كباري،1987،ص197.
[5] سامح كريم:المرجع نفسه،ص76.

فن التهكم ولو بالقمر إذا انشق والتشكيك ولو في مطلع الشمس الضاربة بأشعتها في كل واد..... وما نفضت يدي من مطالعة نصوصه، حتى رأيتها شديدة الحاجة إلى قلم ينبه على عالتها...."[1]

ب/المؤيدين الكتاب ومنهجه:

عرف كتاب"في الأدب الجاهلي " حملة من الانتقادات دامت لفترة طويلة ،ولكن في المقابل كان له أنصار عملوا على تثمين عمله وأشادوا بقدرته وشجاعته على التغيير في مضامين ومنهاج الثقافة العربية.

يرى الدكتور عبد العزيز المقال حان التهمة الموجهة لطه حسين والتي حيثياتها إن مؤلف هذا الكتاب "يرمي إلى إنكار الشعر الجاهلي...ويدعوا إلى الانصراف عنه لأنه منحول ولا يمثل البيئة الجاهلية...وهي تهمة باطلة[2] لعدة أسباب عددها الدكتور منها:

1-أن الكتاب يحتوي على مجموعة من الافتراضات لا المسلمات وقد كان منهجيا فيها.

2-أنه لم ينكر الشعر الجاهلي ولا يشكك في شعراءه إنما ردد نفس الحقائق التيرددها من قبله ابن سلام الجمعي.

3-أنه اختار تدريس الأدب العربي والشعر العربي ،فالذي يحتقر شيئا لا يوقف حياته لتدريسه والبحث فيه.

4-دعوته الدائمة إلى العناية بهذا الشعر وقسوته على الكتاب والشعراء الذين يريدون أن يكونوا كذلك دون أن تتوطد علاقاتهم بالأدب العربي القديم وبالشعر الجاهلي خاصة.[3]

---

[1] المرجع السابق،ص78.

[2] عبد العزيز المقالح،عمالقة عند مطلع القرن،ص50.

[3] المرجع نفسه،ص51.

هي أسباب تدعونا إلى الجهر ببطلان التهمة الموجهة إلى طه حسين وللتدليل على صدق هذه الأسباب لابد من الرجوع إلى بعض كتبه التي يميل في معظمها إلى مقام العاشق المتصوف في معبد التراث الشعري.[1]

كما أن الكتاب في معظم فصوله ينضح بمثل هذه الخرجات الحادة،وهذه الالتفاتات الذكية ،ومن هنا فإن إرادة التجديد فيه واضحة ،والجهد العلمي المبذول [2] ،ولعل هذا الذي دفع باحثا علميا إلى أن يرى قوة هذا المؤلف قائمة على ثلاثة أمور هي:

-جرأة المؤلف في اعتماد الشك توصلا إلى الحقيقة.

-مقدرته في حمل القارئ على رؤية مايراه هو.

-تجرده عن كل ما يحول دون البحث العلمي.[3]

و أخيرا لقد كان طه حسين ديكارتيا في لغته ،فقد استعمل لغة سهلة بسيطة يفهمها العالم والقارئ ،وكان ديكارتيا في أساليب تعبيره ،غير انه مثله مثل كل المشروعات الرائدة لم يخل من العيوب والثغرات.

[1] عبد العزيز المقالح، المرجع السابق،ص51.

[2] د.عباس محمد:دراسات نقدية،دار القدس العربي،وهران، ص40.

[3] المقدسي أنيس: الفنون الأدبية وأعلامها في النهضة العربية الحديثة، دار العلم للملايين، بيروت، 1980، ط2، ص602.

الفصل الثاني

❖ الفصل الثاني : منهج الجبر التاريخي " عند طه حسين " تجديد ذكرى أبي العلاء"

❖ المبحث الاول: طه حسين ومنهج الجبر التاريخي:

1-مفهوم الجبر التاريخي

2-تأثير كارلو نلينو وهبليت تين" في فكر طه حسين .

❖ المبحث الثاني : كيفية تطبيق " الجبر التاريخي على تجديد ذكرى أبي العلاء.

1- زمان أبي العلاء ومكانه.

2- حياة أبي العلاء

3- أدب أبي العلاء

4- علم أبي العلاء (اصطباغه بالصبغة العلمية)

5- فلسفة أبي العلاء.

❖ المبحث الثالث : النقد الموجه للكتاب.

1- موقف المؤيدون.

2- موقف المعارضون.

❖ المبحث الاول:طه حسين ومنهج الجبر التاريخي:

تمهيد:

يحاول طه حسين أن يتبنى منهجا واضحا في الكتابة و أن يكتب بطريقة تختلف عن الكتابات السائدة في عصره ،فهو يبدو طموحا إلى تطبيق المناهج الحديثة التي درسها في الجامعة المصرية و هو في ذلك يقول :"المذهب الذي أحدثته الجامعة المصرية في درس الآداب بمصر نافع النفع كله لاستخراج نوع من العلم لم يكن لنا به عهد مع شدة الحاجة إليه ،وهو تأريخ الآداب تأريخا يمكننا في فهم الأمة العربية خاصة و الإسلامية عامة فهما صحيحا حظ الصواب فيه أكثر من حظ الخطأ و تنصيب الوضوح فيه أو فرض من نصيب الغموض"[1] ،فالمنهج الحديث أفاد في استخراج علم جديد هو تاريخ الآداب الذي يعيننا في فهم الأمة الإسلامية و العربية وهو في نظره منهج كثير الوضوح و الصواب .

ولعل البحث عن فهم الأمة العربية الإسلامية هو ما يشغل بال طه حسين طوال حياته ،ويسعى جاهدا لإبراز هذا المنهج الجديد الذي راح يبشر و يدعو له [2]

و الحق أن ما دفع طه حسين إلى القيام بهذا الدور انبنى على ما أفاده من أساتذته المستشرقين في الجامعة المصرية و لعل الفضل فيه يعود بالأساس إلى أستاذه المستشرق الإيطالي "نالينو" ،يقول فيه طه حسين :"وعلمني كيف استنبط الحقائق من ذلك النص ،وكيف ألائم بينها ،وكيف أصوغها أخر الأمر علما يقرأه الناس فيفهمونه و يجدون فيه شيئا ذا بال ".[3]

[1] جابر عصفور: المرايا المتجاورة ،دراسة في نقد طه حسين ،دار قباء القاهرة،1998،ط5،ص368.

[2] أحمد بوحسن:الخطاب النقدي عند طه حسين ،ص50.

[3] حسين طه :نقد وإصلاح،دار العلم للملايين،بيروت لبنان،1980،ط8،ص167.

و تعلم منه :"أن الأدب مرآة للعصر الذي قيل فيه ،فهو دافع من دوافع هذه الحياة وكذلك صدى من أصدائها ،.... ولا سبيل إلى درسه وفقهه إلا إذا درسنا الحياة التي سبقته فأثرت إنشائه ،والتي عاصرته فأثرت به و أثرت فيه".[1]

و معنى هذا أن دراسة الأدب تتعلق بالعصر أي الحياة التي سبقته و الحياة المعاصرة له ،فهو يتأثر بها و يؤثر فيها.

كما تعلم منه :كيف يدقق الموازنة بين الأدب العربي القديم و الآداب القديمة الأخرى ،ملائما و مخالفا بين ما ينبغي أن يلائم و يخالف بينه من ظواهر التاريخ.[2]

نجد أن طه حسين شديد التأثر بأستاذه ،فكل ما سمعه ووعاه من تلك الدروس التي تلقاها على يديه ،كان جديدا بالنسبة إليه ،ولابد أن يحدث في نفسه أعمق الأثر وأبعده ،وأن يطبع الحياة العقلية بطابع النقد الحديث[3] ،ويصرح طه حسين بأن المنهج القديم كره إليه أبا العلاء و المنهج الحديث حببه إليه حيث قال :"كره المنهج القديم إلي أبا العلاء وأزال المنهج الحديث من نفس هذا الكره ،ووفقني مع بعض الشعراء المحدثين والمتقدمين موقف الرجل الحر ،لا يستهويه حب ولا يصرفه بعض وإنما المجيد والمسيء عنه سواء في الخضوع لقوانين البحث".[4]

إن طه حسين قد أبدى إعجابه بالمنهج الحديث لما يمتاز به من الموضوعية بحيث لا يخضع للحب و الكراهية و قوانينه عامة.

و بهذه النظرية الجديدة في البحث ،قصد طه حسين أن يصور رجلا من رجال التاريخ تصويرا صحيحا في فلسفته وأدبه ،بعد أن أطاحت بكل تلك الشكوك و الأوهام.[5]

---

[1] كارلو نلينو ،تاريخ الآداب العربية ،دار المعارف،القاهرة،ط2،1970،ص10.

[2] المرجع نفسه،ص10.

[3] المرجع نفسه،نفس ص.

[4] ينظر :طه حسين ،تجديد ذكرى أبي العلاء،ص ص15،16.

[5] ينظر :د عباس محمد :دراسات نقدية ،ص35.

و في ضوء الاقتناع بهذا المحدد المنهجي لم يكن من المعقول أن يدرس حسين شخصية أدبية في وزن أبي العلاء المعري،دراسة مجردة ،مثلما درجت عادة النقد قبله ،في درس أبي العلاء و غيره ،دون أن يتناول بيئته وعصره وكل المؤثرات الاجتماعية والاقتصادية ولكي يتحقق له ذلك ،اعتمد منهجا غير مألوف في الدراسات العربية ،وفي ذلك يقول بكل فخر :"إني لا أعرف كتابا ظهر على هذا النحو من البحث وربما لا أغلو أن قلت إني لا أعرف كتابا في الآداب العربية قد وضعه صاحبه على قاعدة ومعروفة وخطة مرسومة من القواعد والخطط التي يتخذها علماء أوروبا أساسا لما يكتبون في تاريخ الآداب"[1].

وهنا أجد أن طه حسين يعرف أنه كتابه "تجديد ذكرى أبي العلاء" أول كتاب في الآداب العربية يتبنى خطة فيها نوع من الدقة والعلمية تجعل منها أساسا لما يكتب في تاريخ الأدب.

ويرجع ويقول بأنه:"قد بذل جهده في استقصاء حظها من الصحة، فهو لا يزعم أن كتابه كلها حق ولكنه يعتقد أن إصابتها عنده راجعة إلى اليقين أقرب منها إلى الشك"[2].

هذه القاعدة والخطة المرسومة هي نظرية "الجبر التاريخي" التي حاول بها طه حسين أن يعيد بناء حياة أبي العلاء المعري ويقرأ بها أغاره لذلك كانت هذه الفكرة هي التي حددت قراءته للمعري في هذه المرحلة [3].

وتقوم فكرة الجبر التاريخي على أساس أن المعري نتيجة لعدة عوامل صنعته يجب البحث عنها و الإحاطة بها و يقول طه حسين في ذلك :"ليس الغرض في هذا الكتاب أن نصف حياة أبي العلاء المعري وحده ،وإنما نريد أن ندرس النفس الإسلامية في عصره ،فلم يكن لحكيم المعرة أن ينفرد بإظهار أثاره المادية و المعنوية و إنما الرجل وماله من

[1] طه حسين ،المصدر السابق ،ص16.

[2] المصدر نفسه ،ص17.

[3] أحمد بوحسن : الخطاب النقدي عند طه حسين ، ص 58.

أثار وأطور نتيجة لازمة ،وثمرة ناضجة لطائفة من العلل اشتركت في تأليف مزاجه ،وتصوير نفسه من غير أن يكون له عليها سيطرة أو سلطان ".[1]

وبهذا فإن طه حسين يقر بضرورة اشتراك العلل والأسباب في نفسية الإنسان حتى يكون ثمرة ناضجة وفي هذا يقول : " والخطأ كل الخطأ أن ننظر إلى الإنسان نظرة الشيء المستقل عما قبله أو ما بعده " [2]

إذ أنه ليس في العالم شيء إلا وهو نتيجة من جهة وعلة من جهة أخرى ونتيجة لعله سبقته ومقدمة لأثر يتلوه... "[3]

وليس للمؤرخ المجيد إلا البحث عن هذه العلل والكشف عما بينهما صلة ... "[4]

ومعنى هذا أنه على الباحث أن يتقصى البحث في علل الأشياء والكشف عما سبقها ولحقها.

كما نجد طه حسين إلى جانب تأثيره بكارلونلينوا تأثير أيضا بمجموعة من النقاد والفلاسفة الفرنسيين وخاصة الناقد الفرنسي "هبليت تين" (H.Tine) فعلى غرار تين الذي يرى أن الكاتب أو الشاعر ماهوإلا أثر لمؤثرات الجنس والبيئة والزمان ، ترغمه أن يصدر ما كتب أو نظم من الآثار "[5].

نجد طه حسين ينبئنا بأنه :"لا يدرس حياة أبي العلاء وحدها ،وإنما يريد أن يدرس أيضا حياة النفس الاجتماعية الإسلامية في عصره"[6]،ذلك انه يعتقد أن حكيم المعرة وماله

[1] طه حسين : تجديد ذكرى أبي العلاء، ص20.
[2] المصدر نفسه ، ص21.
[3] المصدر نفسه ، ص21.
[4] المصدر نفسه ، نفس الصفحة .
[5] طه حسين : في الأدب الجاهلي ،ص44 .وحديث الأربعاء،الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مصر ،ط1،ص53.
[6] طه حسين،تجديد ذكرى أبي العلاء،ص20.

من أثار ماهو إلا محصلة لعصر كابد أحداثه وأحواله وارتوى من معرفه وآدابه وعارك عواطفه ورجالاته"[1].

كما جعل طه حسين وقبله تين من الحادثة التاريخية و القصيدة الشعرية يخضعان للتحليل مثلما تخضع المادة للكيمياء وهو يقول في ذلك"إنما الحادثة التاريخية و القصيدة الشعرية والخطبة يجيدها الخطيب والرسالة ينمقها الكاتب الأدبي،كل أولئك نسيج من العلل الاجتماعية والكونية ،يخضع للبحث خضوع المادة لعمل الكيمياء"[2].

ومعنى هذا إن طه حسين يقر بضرورة إخضاع الحادثة التاريخية للتحليل فهي لاتختلف عنده في التحليل أي مادة كيميائية،إذ هو يوحد بين عمل المؤرخ وعمل الرياضي و الفيزيائي والكيميائي.

[1] أحمد علبي :طه حسين رجل وفكر وعصر،دار الآداب ،1985 ،ص24.

[2] طه حسين :المصدر السابق،ص24.

❖ المبحث الثاني:

كيفية تطبيق منهج "الجبر التاريخي" على أبي العلاء المعري:

قد استوعب طه حسين شخصية المعري وبيئته وأدبه في رسالته الأكاديمية "تجديد أبي العلاء وهي الرسالة الأولى للدكتوراه قدمها إلى الجامعة المصرية عام 1914 ،محاولا تطبيق منهجه انطلاقا من جملة من المصادر استعان بها .[1]

وقد قسم أطروحته إلى خمسة مقالات تلي التمهيد الذي وضعه له وهي المقالات تأتي تباعا كالتالي:

1)زمان أبي العلاء ومكانه (العصر):

لما كان غرض طه حسين من وضع كتابه أن يفهم أبا العلاء حق الفهم ويعرف الصلة بينه وبين عصره ،يخبرنا بأنه لن يدرس (حياةأبي العلاء) أي الزمان الذي عاش فيه وحده ،وإنما يريد أيضا أن يدرس (حياة النفس الإسلامية) في عصره ومدى تأثيرها عليه وعلى عصره ،وهو يقصد بهذا "جميع الذي دانوا بحكم المسلمين ،أو سكنوا أرضهم ،أو اشتدت بين المسلمين وبينهم الصلة".[2]

ويرى طه حسين أن حال الأمة العربية في عصر أبي العلاء أكثر تأثيرا من الأمةالإسلامية كون أبي العلاء قد كان عربيا ،وعاش عيشة عربية وأظهر أثاره باللغة العربية.[3]

وحتى يثبت طه حسين أن أبا العلاء ثمرة ناضجة لعصره ،نجده يرد الظروف السياسية والاقتصادية والدينية والخلقية والعقلية لعصر أبي العلاء.

---

[1] انظر :طه حسين ،تجديد ذكرى أبي العلاء ،ص32-29.

[2] المصدر نفسه،ص23-22.

[3] المصدر نفسه،ص22.

ولاشك أن التقسيم الأكثر شيوعا في تاريخ الأدب هو **التقسيم السياسي** للعصور ،غير أن الأدب قد يتميز في حقبة زمنية من تطوره بسمات ما ،أو يغلب عليه مذهب من المذاهب الفكرية ،وهنا نجد طه ينظر إلى العصر بحسب السمة الغالبة فيه .[1]

وهو بذلك يقسم عصر أبي العلاء تقسيما سياسيا (أو تاريخيا) بينما حينما يتحدث عن اليونان والهند يشير إليها بالعلم لا بالأحداث التاريخية ،أي بتقسيم يعتمد على العلم أو الفلسفة أو الثقافة ويقول في ذلك :"قد تضطر إلى أن تترك عصر أبي العلاء وترجع إلى عصر الفلسفة اليونانية والهندية قبل المسيح بقرون".[2]

أما أبو العلاء فقد أضلته بمعرة النعمان دون الثلاث :الحمدانية والفاطمية والمرداسية[3]....ودولة رابعة هي دولة الديلم ببغداد ،وقد اتصلت حياة أبي العلاء بها سنة وبعض سنة ،حين رحل إلى العراق[4] ،ولقد كان حال هذه الدول أنها لم تعرف الاستقرار السياسي لما كان بينهما من حروب بسبب أطماع التوسع واختلاف المذاهب الدينية .[5]

وهكذا جعل طه حسين من الحياة السياسية العامة لعصر أبي العلاء سببا مباشرا قد رسخ في نفسه عاطفة الحزن والسخط بعد أن ذكر طه حسين العامل السياسي نجده يقول بأنه :"لم يبقى ما يحمل لوم أبي العلاء أو تأنيبه ،فإن كل شيء حوله انما كان يزهد العاقل في الحياة ،ويرغبه عنها، ويملأ نفسه سوء الظن بها ،وقبح الرأي فيها".[6]

وفساد الحياة السياسية سيستلزم في رأي طه حسين سوء **الحياة الاقتصادية** ،فقد كانت تقضي حياتها في الحروب الخارجية وإخماد الفتن الداخلية ،كما نجد أن هذه الحياة

[1] طه حسين ،تجديد ذكرى أبي العلاء،ص22.
[2] المصدر نفسه،ص23.
[3] المصدر نفسه،ص72.
[4] المصدر نفسه ص55.
[5] نفسه ،ص59.
[6] نفسه ،ص73.

الاقتصادية قد قسمت الأمة إلى طبقتين : طبقة الأغنياء المترفين ،والفقراء المعدمين وان هذه الأخيرة قد مس ضرها أبا العلاء فكون له في تقسيم الثروة رأي خاص".[1]

وبالطبع فإن هذا التقسيم الطبقي محاولة لإبراز الفوارق الاجتماعية ،وطه حسين لا يجد رأيا خاصا بأبي العلاء في تقسيم الثروة ،فكل مايجده في شعره ،أنه أحب العدل والمساواة بين الفقراء والأغنياء،فحث الأغنياء على إخراج الزكاة.[2]

كما ينتقل طه حسين إلى وصف **الحياة الدينية** في زمن أبي العلاء ،فقد تميزت الحياة الدينية بالضعف نتيجة لكثرة المظالم وانتهاك المحارم ،وسلب أموال الغير وكثر شرب الخمر وانتشرت مجالس الإلحاد.[3]

وقسمت الأمة إلى فرق مختلفة وأحزاب سياسية متباينة والأمر الذي دفع بالمعري إلى الإعلان عن ذمه لهذه الفرق والتبرؤ منها.[4]

يرى طه حسين قسوة الحياة السياسية واختلال النظام الاقتصادي ،وضعف الأثر الديني في النفوس يستلزم بالضرورة أن تكون **الحياة الاجتماعية** على درجة كبيرة من الوهن والانحلال الأخلاقي [5] ،ثم يتكلم عن **الحياة الخلقية** بصفة عامة فيقول:"بعد هذا التفصيل المبسط الذي قدمناه لا يشك القارئ في أن يصيب الحياة الخلقية من الفساد لمعهد أبي العلاء تحد كان موفورا فإنك لا تجني من الشوك العنب...."[6] ،وهذا ماجعل الأدب مرآة عصره ،لذ لابد من انعكاس مؤثرات العصر على الأدب ،وهذا ماجعل المؤرخ للمذاهب الحديثة في البحث "يطمئن إلى أن الحركة التاريخية جبرية ليس للاختيار فيها مكان".[7]

---

[1] طه حسين، المصدر السابق،ص ص77-.311.

[2] المصدر نفسه،ص78.

[3] المصدر نفسه،ص78.

[4] المصدر نفسه،ص81-79.

[5] المصدر نفسه ،ص88.

[6] المصدر نفسه،ص22.

[7] المصدر نفسه،ص84.

ثم أن الأسباب التي عملت على إضعاف السياسة قد عملت على تقوية **العقل** حيث يقول :"إن تاريخ المسلمين لم يشهد عصرا زهت فيه **حياتهم العقلية** وازدهرت ،وآنت أطيب التمر وألذ الجني لهذا العصر".[1]

وقد بدا هذا واضحا في فكر أبي العلاء وأدبه باعتبار أن الإنتاج الأدبي عامة تجسيد كامل ملموس لخواطر المؤلف.

لذلك فازدهار الفلسفة جعل لأبي العلاء موقفا من كل مذهب من مذاهبها ،وازدهار التاريخ هو الذي ملأ رسائله ولزومياته بالأنباء التاريخية ....وكان بصناعة التنجيم الذي ترجم عن أهل الهند والفرس، أيام المنصورشديد الضيق...أما ما ترجم عن اليونان فقد أثر في التاريخ و الجغرافيا وأمد أدب العلاء بآراء فلسفية.

ب)بيئة أبي العلاء:

بعد أن انتهى طه حسين من تحقيق عصرأبي العلاء المعري انتقل إلى الوسط البيئي الذي عاش فيه ،وتأثر به وتأثرت به موهبته ،فقد تحدث عن معنى لفظ معرة ،ونسبته إلى النعمان ،ثم حدد موقعها الجغرافي ثم تناول بالبحث قبيلة قضاعة ،وحقق في اسمها ونسبها ،وما مربها من حوادث .إلا انه لم يقف في ذلك إلا على أوهام وخيالات توارثتها الأجيال المتعاقبة عن بعضها البعض ،إذ يرى أن مهمتها أن : "تترك في نفس الأجيال الناشئة شيئا من الأثر ،باعتبارها تراثا جمعيا فإذا كانت تمثل العز والمجد ونباهة الشأن ورفعة القدر ،ترك في نفس الأجيال الناشئة ظلا من الاباء والحمية ومن الشمم والصيد ،وإذا كانت تمثل الذلة والمسكنة والخمول والضعف تركت في أنفس هذه الأجيال ظلا من الخنوع والخشوع".[2]

[1] طه حسين تجديد ذكرى أبي العلاء،ص ص136-135.

[2] المصدر نفسه،ص157..

2)حياة أبي العلاء:

في حديث طه حسين عن حياة أبي العلاء المعري نجده يطلعنا على اسمه ولقبه وكنيته ،ومولده ،وذهاب بصره ،وموت أمه وأبيه ومدى تأثره بمفارقتهما ،وأيضا أخلاقه وأسفاره إلى حلب وأنطاكية واللاذقية وطرابلس والشام وبغداد من أجل طلب العلم[1]،إنه يسعى من خلال هذه الخطة إلى تحقيق شخصية أبي العلاء .

ثم يأتي للحديث عن زهده في الدنيا، وعزة النفس عنده وحزنه وسخطه وهو في ذلك يقول :"فهو لم يبلغ الرابعة حتى ذهب بصره ،ولم يبلغ الرابعة عشر حتى فقد أباه ...ثم بعد ذلك قد أتقن الدرس اللغوي عن أبيه ،فتأثر بعلمه وأخلاقه معا.

ثم رحل إلى حلب ،فأخذ عن شيوخها ....واستأنف بعد ذلك الرحلة الى مدينتين ،هما أنطاكية واللاذقية،فدرس فيهما الكتب ،ولقي فيهما النصارى،وسمع مقالات الفلاسفة وشهد أثار الحضارة الإغريقية ثم انتقل إلى طرابلس لكن طه حسين ليفصح عن نوع الفلسفة التي تلقاها أبو العلاء ومعنى ذلك انه لم يتوصل الى نتائج قطعية في عملية بحثه كما كان يود وبعد ذلك ينتقل إلى قصص العداوة بين أبي العلاء والشريف المرتضى ،والتي كان يسببها تعصب أبي العلاء للمتنبي ،فينظر إلى مغادرة بغداد ويرجعها طه حسين إلى صفة الجبر المطلق التي تحكم كل شيء بما في ذلك ،تصرفات الناس .

معنى ذلك أن الظروف التي كان يعيشها أبو العلاء هي السبب في مغادرته وهو يقول في ذلك :"ليس لنا أن نلوم في ذلك أحد :فإن أبا العلاء لم يختر أن يكون متعصبا ...وما اختارأبو العلاء أن يكون رقيق الإحساس ...وإنما كل تلك الخصال قهرية اجتمعت لأبعاد أبي العلاء عن بغداد."[2]

[1] د،يوسف بكار: أوراق نقدية عند طه حسين،دار المناهل ،ط1،1991،ص36..

[2] طه حسين:تجديد ذكرى أبي العلاء،ص ص97-105.

3)أدب أبو العلاء:

ا/شعره:

وبعد أن عين طه حسين حياة أبي العلاء وحققها واتخذها مصدرا من مصادر البحث انتقل إلى دراسة شعره فطه حسين حينما قرأ أشعار أبي العلاء وجدناه قد قرأها كما قرأها أستاذه الأزهري سيد علي المر صفي ،وقف عند بعض القضايا اللغوية والنحوية وأبدى إعجابه بهذا البيت أو ذلك وكذلك لم يتخلص من العبارات الذوقية التي كانت عند أستاذهالأزهري مثل :انظر إلى هذا البيت أو ماشاكل ذلك .[1]

ومن خلال هذا يتضح أن طه حسين تأثر أيضا بأستاذه "سيد على المرصفي"ومعنى هذا أنه رغم اعتماده المنهج الجديد إلا أنه لم يستطع التخلص من القديم (المنهج القديم)

وما وجدناه أيضا أنه لم يربط بين اتجاهات الشعر العباسي وبين شعر أبي العلاء من حيث الأغراض والموضوعات ،فهو مثلا يحدثنا عن الخطابة والعلوم الأدبية واللغة ...وهي موضوعات كانت قد شاعت في عصر المعري، لكن المعري لم يتعلق بها.[2]

وطه حسين لم يفصح عن السبب الذي دفع أبي العلاء إلى كفرها وعدم التعلق بها

ثم أن طه حسين مثل أيضا أستاذه "نالينو"في عدم تناوله الأدب العربي يحتسب فنونه التقليدية (مدح ،رثاء،وصف غزل ...) وإنما يحسب موضوعات التيقيل فيها .وما أحاط بكل ذلك من مؤثرات العصر العامة .[3] فأخذ "حسين"يدرس ديوان (سقط الزند)يحسب أطوار صاحبه فقسمه إلى ثلاثة أطوار

1) طور الصبا

2) طور المشيبة

---

[1] المصدر السابق،ص198..

[2] المصدر نفسه،ص199..

[3] المصدر نفسه، نفس ص

3 طور الكهولة والشيخوخة

وبعد ذلك أخذ يدرس كل طور لما احتوى عليه من فنون شعرية ،ثم حدد أنواع الفلسفة التي اهتم بها المعري ومما أخذ طه حسين به المعري في شعر**صباه** هو كثرة المبالغة والتكلف ،وقلة المتانة ، وعدم إتقان المعنى ، وقدم بعض الأبيات الشعرية منها قوله :

ونادية في مسمعي كل قينة تغرد باللحن البريء من اللحن

ثم قارنه بأخرى عندما نضج عقل أبي العلاء فبين كيف أدى المعنى في أعذب صوت وأجمل صورة :

أبكت تليكم الحمامة أم غنـ نت على فرع غصنها المياد؟ !

كما نعت أيضا شعره في **الطور الثاني**بالمبالغة، ومما أخذ عليه أيضا كثرة الضرورات الشعرية وما وقع فيه من أخطاء والتي أرجعهاإلى نقص التجربة وعدم النضج بعد عنده.[1] وقدم طه حسين في هذا الطور بعض أبيات قالها المعري حين خاطب الشافعي فقال :[2]

ورب ظهر وصلناه على عجل بعصرها من بعيد الورد لماع

بضربتين لطهر الوجه واحدة وللذراعين أخرى ذات إسراع

ثم نظر إلى أبيات أخرى له قالها حين فارق بغداد ،فأداها في أحسن لفظ وأرق أسلوب فقال :[3] نبي من الغربان ليس على شرع بنبئنا أن الشعوب الى صدع

أصدقه في مرية وقد امترت صحابة موسى بعد آياته التسع

[1] المصدر السابق،ص201.

[2] المصدر نفسه،ص202.

[3] المصدر نفسه،ص203.

أما شعره في **الطور الأخير** فبدوي اللفظ ،قليل التكلف و المبالغة ،قد مثل شخصه فإذا قرأ أحدهم شعره لم يشك في هذا الشعر يمثل نفس أبي العلاء .[1] وتحدث أيضا عن تمثل شعره لعواطفه ،وتتألف هذه العواطف في : حزنه على فقده لوالدته ،حزنه على بغداد التي فارقها ،وتألمه من الفقر وقلة المال .[2]

إذن هذا ما عالجه طه حسين في شعره أبي العلاء ومن خلال هذا يتضح لنا أن معظم أشعار أبي العلاء نجدها تعكسه شخصه وعواطفه

ب) نثر أبي العلاء :

بعد حديث طه حسين عن شعر أبي العلاء ،نجده قد خصص جزاءا كبيرا من الحديث أيضا عن نثره ،وقد قسمه هو الأخر إلى طورين : **طور الشباب** :وهو كشعره ،يتسم بالضعف ،وكثرة التكلف لم تخل رسائله من السجع والغريب ،وقد وصف رسائله

بقوله:وإنما هي ألفاظ مرصوفة ،وكلمات قد قرن بعضها إلى بعض ...وتختلف متانة وضعفا من حين إلى أخر.[3] أما **الطور الثاني** :فإن نثره في هذا الطور يختلف عن الطور السابق وقد مثل شخصه بصدق وقد قال في هذا طه حسين :" لقد كان أشد الحرص على أن يخفي نفسه على القارئ في بعض رسائله ، ولكن شخصه يأبى إلا الظهور ".[4]

4) علم أبي العلاء: (إصباغه بالصبغة العلمية)

يرى طه حسين أن المقالة الثالثة تمثل تأثير هذا الدرس الطويل في آداب أبي العلاء ،وأن هذا التأثير ظاهر في مظاهر مختلفة ،ولكن مايهم1/هو كثرة الاصطلاحات العلمية في شعره ونثره ،2/إصباغأسلوبه بالصيغة العلمية ،التي احتاج إلى أن يفسر بعض ماوقع

[1] طه حسين، تجديد ذكرى أبي العلاء،ص201.
[2] المصدر نفسه،ص201.
[3] المصدر نفسه،ص233.
[4] المصدر نفسه،ص235.

في شعره من الألفاظ على طريقة المؤلفين ،وهذا إن دل على شيء إنما يدل على أن القوة العلمية كانت شديدة في نفس أبي العلاء.[1]

ثم ينتقل بعد ذلك إلى الفنون التي درسها : ذلك أن**العلوم اللغوية** كانت في مقدمتها وكانت السبيل فيتخرج التلاميذ النوابغ عليه ،والتي أمدت شعره ونثره بالغريب وألف فيها الكتب الضخمة .أما **العلوم الفلسفية** فيرى طه حسين أن **اللزوميات ورسالة الغفران** يدلان على أنه قد أتقنها ،وحذق فيها علما وعملا .[2]

وبعد ذلك يأتي للحديث عن ثقته بنفسه فأبو العلاء كان ثقة حجة في العلم ،بجودة حفظه و،وقوة فهمه وصدقه فهو لم يتهم بكذب أو تدليس.[3]أما فيما يخص عنايته بأثره.فطه حسين يلاحظ أن أبا العلاء كان شديد الحرص على علمه وأدبه ويقول في ذلك :"إنك لاتكاد ترى كتابا ألفه أبو العلاء من غيره أن يكون قد ألف له شرحا أو تفسيرا "[4]

ومعنى ذلك أنه كان شديد الحرص على تعليل وتفسير كل مايكتب .

كما تحدث أيضاعن أن كتب أبي العلاء المنظومة والمنثورة في علوم الأدب .ويتأسف لان الندر اليسير من هذه الكتب ما بقى لنا بسبب تخريب الصليبيين لها ،وتحريقهم لما فيها .كما تحدث أيضا عن ذوقه الرقيق في تسمية كتبه وينبهنا كيف سمى شرحه لديوان أبي تمام "ذكرى حبيب".[5]

5) فلسفة أبي العلاء:

وفي الأخير يطلعنا طه حسين على الفلسفة العلائية والتي فصل فيها تفصيلا دقيقا ونجده هنا قد ربط في كتابه بين "الجبر التاريخي " في تحليل الظواهر الإنسانية (حياة أبي

[1] المصدر السابق ،ص203.
[2] المصدر نفسه،ص ص206-204.
[3] نفسه،ص207.
[4] نفسه،ص208.
[5] نفسه،ص208.

العلاء) وبين الجبر الفلسفي في معرض حديثه هذا عن فلسفة أبي العلاء وجبريته .وهو يؤكد أن الجبرية :"قد فرغت الفلسفة من إثباتها منذ زمن بعيد ."[1]

فطه حسين هنا يؤكد على الجبر الفلسفي وأنه لا يؤمن بالصدفة أو الاختيار وهذا ينسجم مع نظريته في التاريخ .[2] فطه حسين يتساؤل: هل أبو العلاء فيلسوف ؟ وفي الإجابة يرى أن ماقدمه من سيرة أبي العلاء وأخلاقه وحياته في منزله وبين الناس ،ومدرسه للفلسفة في أنطاكية وبغداد ،يدل على أنه كان فيلسوفا حقا ،ثم يأتي للحديث عن منشأ فلسفته وكيف حالف أهله وقومه ،وسوء ظنه كالنساء ،وكرهه للوجود .[3]

ثم أن فلسفة أبي العلاء ، لم تكن إلا نتيجة ماطاف به من أحوال عصره ،وتلك الأحوال هي التي حملته على التفكير والدرس ،وأن الدرس والتفكير هما اللذان أنتجا له الكثير من الآراء الخاصة في الفلسفة على اختلاف فنونها.[4]

ثم يتحدث عن مصادر فلسفته والتي كانت من أهمها الحياة نفسها .وأيضا كتب الدين على اختلافها ،فأبو العلاء قد درس الإسلام ،اليهودية ،النصرانية وناقشها كلها في اللزوميات.[5]

وأيضا تناول أصول فلسفته ،وأن القاعدة التي اتخذها أبو العلاء طريقا إلى بحثه عن الأشياءلايتجاوزها ولايتعداها،فهو يتخذ العقل في البحث عن الأشياء ،وهو يقول :"أن المعري لم يكن من أهل الشك ولا من الذين يتخذون الشرع لهم في الاستدلال إماما ،وإنما هو من الذين لايثقون إلا بالعقل ،فإذا به فلا يستسلمون إليه".[6]

---

[1] أحمد بوحسن. الخطاب النقدي عند طه حسين ،ص61.

[2] المرجع نفسه،ص62.

[3] طه حسين:تجديد ذكرى أبي العلاء، 213-212.

[4] المصدر نفسه،ص ص214-213.

[5] المصدر نفسه،ص ص218-215.

[6] المصدر نفسه،ص ص 220-219.

❖ المبحث الثالث:نقد الكتاب ومنهجه:

لقد تعرض طه حسين إلى جملة من الانتقادات من قبل النقاد يمكن ذكرها فيما يلي:

1- ذكر التاريخ والمؤرخين كثيرا في كتابه،وكأن ما يشغل باله أساسا هو عملية التاريخ وهذا الاهتمام هو نفسه الذي كان عند أستاذه نالينو .فهدف طه حسين إذ هو الوصف حتى ارتبط هذا المنهج التاريخي بالوصف والإكثار منه.[1]

2- أما فيما يخص تأثره بتين فإن مفتاح طاهر ينفي أن يكون قد تأثر به مباشرة أو يكون قد قرأ كتاباته لان الثقافة الفرنسية كانت في تلك المرحلة لا تزال ضعيفة.[2]

3- ثم إن نظرة تين إلى التاريخ نظرة دقيقة ومحدودة لها علاقتها الفلسفية والعلمية بتاريخ الأدب...فإن نظرة طه حسين كانت تبحث من خلال التعميم عن الدقة والموضوعية ،وانه يبحث من منظور الباحث الطموح عن الدقة كثيرا ما تستند غل التخريجات العلمية المتعسفة والتي تضيع معها حقائق النص العربي في كثير من الأحيان .[3]

أو مما انتهى ببعض الباحثين إلى القول بأن طه حسين لم يتمكن من تحقيق ماوعد به في مقدمته المنهجية ،وان الدور الذي لعبه (المؤرخ) لم يفلح فيه كما أراده على الأقل .[4]

ومما أخذ عليه أيضا تقسيمه الكتاب وفق الاعصر السياسية : "مما لاشك فيه أن الحوادث السياسية و الاجتماعية ليست إلا نتيجة لتغيرات في أفكار الأمة وشؤونها ،وتلك التغيرات نتيجة لتغير الأحوال الأدبية ،يجب أن تقسم عصور الآداب تقسيما خاصا غير التقسيم السياسي،بمعنى أن ينظر إلى الآداب من حيث هي منتجة للحوادث السياسية لا من حيث نتيجة له. [5]

---

[1] أحمد بوحسين،المرجع السابق،ص59.

[2] المرجع نفسه،ص60.

[3] المرجع نفسه،ص61.

[4] المرجع نفسه،ص62.

[5] يوسف بكار:أوراق نقدية جديدة عند طه حسين ،ص52.

وكذلك من ناحية الخطة التي اتخذها طه حسين وغيره من المؤلفين ،فهي غلطة سيئة لم ينتبه إليها الأدباء والمؤرخون ،فإن قيام دولة وسقوط أخرى لايمكنأن يكونا مؤثرين في الأمة،وإنما يجب أن يكونا متأثرين بها.[1]

وعليه فهما اتعقد الاتفاق على العيوب الظاهرة والمؤكدة في تطبيق المنهج[2] إلا أنه ليس هناك مايمنع من توكيد الأهمية الكبرى للوعي الذي وقف وراء كتاب "تجديد ذكرى أبي العلاء " ووراء معظم ماكتب طه حسين ،وثانيا :إن الأدب العربي فما يفهمه طه حسين ينطوي على ثلاثة جوانب ،تصاحبه ثلاثة استجابات نقدية هي في حقيقتها تعبير عن محاولة للتوفيق بين أصول فكرية عدة أفادها طه حسين من النقد الأدبي في فرنسا .مثلما أفادها من معطيات النقد العربي قبل سفره إلى فرنسا.

"أما **الاستجابة الأولى**فتنحوا منحى تاريخيا ،يتأثر فيه طه حسين بانجاز هبليت تين HATINE (1828-1893) من حيث تركيزه على الصلة الحتمية التي تنشأ بين العمل الأدبي والبيئة التي تنتجه... أما **الاستجابة الثانية** تنحوا منحا نفسيا ،يتأثر فيه طه حسين إلى حد ما بإنجاز سانت بيف"S.BEUVE" (1804-1896) من حيث التعرف على شخصية المبدع،لان تعرف الشخصية يعني الوصول إلى العلة المباشرة التي أنتجت الأدب...أما **الاستجابة الثالثة** فهي مرتبطة بالبعد الإنساني ارتباطها بلون من الجمال المطلق ،يقترن دائما بوجود العمل الأدبي فضلا عن أنه لا يدرك إلا إدراكا فرديا.."[3]

فإن كتاب "تجديد ذكرى أبي العلاء " وبإجماع الكثير هوأول كتاب في الثقافة العربية الحديثة تبدو فيه ملامح النظرية ،على قصدها واضحة بينة.[4]

كما انه لايمكن إنكار الدور الذي لعبه المنهج التاريخي في تطوير حقل الدراسة الأدبية.

---

[1] المرجع السابق،ص53.

[2] ينظر، احمد بوحسن : المرجع السابق ،ص ص70-53.

[3] عصفور جابر:المرايا المجاورة، ص51.

[4] عباس محمد: دراسات نقدية، ص37.

ثم أن هذه المآخذ لا يمكن لها أن تلغي خطوة طه حسين التي كان من إيجابياتها أنها لفتت انتباه الدارسين إلى أهمية استخدام مناهج حديثة ،شاملة متكاملة بما أثارته من نقاش نقدي بفضل الآراء الجريئة التي طرحها في بحثه ،وكانت إحدى أهم الأسباب لالتفات الدارسين إلى المعري كفيلسوف وشاعر متميز فانطلقت البحوث تنفض عنه غبار القرون الطوال.

خاتمة

❖ خاتمة :

وفي نهاية بحثي هذا يمكنني استخلاص أهم النتائج التي توصلت إليها :

لقد تمكن طه حسين من أن يشق طريقا جديدا في مجال النقد المنهجي على أساس عملي منطقي نظري ، فقد سار النقاد على دربه على الرغم من أنهم في البداية وقفوا منه موقف المشكك وبهذا استطاع طه حسين أن يفتح الباب ويقوم مقام الفارس الذي يقود الكتيبة .

- كما أنه رفع النقد بمهمته الاستكشافية الوصفية إلى مرتبة العلوم النظرية والتجريبية.
- استفاد حسين من الغرب فائدة لا يتطرق إليها شك، وهذه الفائدة لا تتضح في أسلوبه فحسب بل شاعت في فكره وأدبه ونقده.
- إضافة إلى أنه احتفى بالنظريات العامة ووضع على منوالها مؤلفاته كاحتفائه بنظرية "الشك"
- كما ساهم بشكل كبير في خلق وعي نقدي جديد ذلك لما اصطنعه من مناهج علمية حديثة والتي من بينها ما تناولته في بحثي من مثل منهج "الشك الديكارتي" ، ومنهج " الجبر التاريخي".
- لقد ترك طه حسين بصمات واضحة للجيل الذي بعده فقد كان مخلصا للنقد المنهجي ، ولما امتلكه من ثقافة عربية وأخرى غربية .

ثم أننا نجد أنه كان مخلصا لأساتذه ، و كان شديد التأثر بالنقاد الغربيين من بينهم : "سيد بن علي المرصفي ، وكارلو نالينو، وديكارت، وسانت بيف... " وغيرهم .

ثم أنه من الصعب حصر نتائج النقد عند طه حسين ومدى تأثيره في مسيرة النقد الحديث ، غير أننا مقتنعون بأن جهوده في خدمة النقد والادب العربيين كبيرة رغم ظروفه الصحية والبصرية.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع :

أولا – المصـــادر:

1) طه حسين: تجديد ذكرى أبي االعلاء، دار المعارف، مصر، ط8،1976م.

2) طه حسين: في الأدب الجاهلي، دار المعارف، مصر، ط13، 1969م.

ثانيا–المـــــراجع:

الهادي محمد السلوقي : تطور النقد الأدبي العربي بين النظرية والتطبيق ، جامعة زاوية ليبيا.

محمد عبد المنعم خفاجي: مدارس النقد الحديث ، دار المصرية اللبنانية، القاهرة ، ط1،1995.

جابر عصفور: المرايا المتجاورة ، دراسة في نقد طه حسين ، دار قباء للطباعة والنشر ، القاهرة ،1997م.

يوسف بكار : أوراق نقدية جديدة عند طه حسين ، دار المناهل ، ط1، 1991م.

ديكارت نقلا عن، محمود حمدي الزقروق ، المنهج الفلسفي بين الغزالي وديكارت ، دار القلم ، الكويت ، 1983م.

حنا عبود : المدرسة الواقعية في النقد الحديث ، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، دمشق ، 1978م.

غالي شكري: النهضة والسقوط في الفكر المصري، دار الطليعة ، بيروت ، ط2، 1982م.

1-موسى الموسوي : فلاسفة أوربيون من ديكارت إلى برغسون ، دار المسيرة ، بغداد ،ط1 ،1980م.

2-سامح كريم: معارك طه حسين الأدبية والفكرية، دار القلم، بيروت، لبنان ، ط2 ، 1977م.

3-أحمد بوحسن : الخطاب النقدي عند طه حسين ، دار التنوير ، بيروت لبنان ، ط1، 1985م.

4-عبد العزيز مقالح : عمالقة عند مطلع القرن ، دار الأدب ، بيروت، ط1، 1984م.

5-عباس محمد : دراسات نقدية ، دار القدس العربي ، وهران ، 2016.

6-مروة حسين ، النزاعات المادية في الفلسفة العربية الإسلامية ، دار الفرابي ، بيروت ، ط4 ، 1981م.

7-نصر الدين الأسد : مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية ، دار الجيل، بيروت ، 1956م.

8-إبراهيم عوض: معركة بين شعر الرافعي وطه حسين ، دار الكتب ، شارع كباري ، 1987م.

9-المقدسي أنيس : الفنون الأدبية وأعلامها في النهضة العربية الحديثة ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط2، 1980م.

10-طه حسين : نقد وإصلاح دار العلم للملايين ، بيروت، لبنان ، ط8 ،1980 م.

11-أحمد علي : طه حسين رجل وفكر وعصر، دار الاداب ،1985.

12-جنيفياف رودس لويس : ديكارت والعقلانية ، ترجمة عبده الحلو، بيروت ، منشورات عويدات ، ط2 ، 1977م.

13-كارلو نلينو : تاريخ الآدب العربية ، دار المعارف ، القاهرة ، ط2، 1970م.

طه حسين : حديث الأربعاء ، الهيئة المصرية العامة ، ط1

ثالثا- قائمة الموسوعات:

24)الموسوعة الفلسفية العربية ، معن الزيادة ، ج1 ، ط1 ، 1986

ملاحق

ملاحق:

السيرة الذاتية لطه حسين :

واحد من أهم المفكرون العرب في القرن العشرون ، ولد في الرابع عشر من نوفمبر عام1889م، في "غربة الكيلو" قرب مدينة " مغاغة " بصعيد مصر ، في أسرة فقيرة كبيرة العدد ، كان والده موظف بسيط يعول ثلاثة عشر ولدا "طه حسين " سابعهم.

فقد بصره في السادسة من عمره نتيجة الفقر والجهل وفي قرية مغاغة عاش طفولته الباكرة وحفظ القرآن الكريم قبل أ يغادرها إلى الأزهر طالبا للعلم تتلمذ على يد الإمام محمد عبده الذي علمه التمرد على طرائق الإتباعيين من مشايخ الإزهر، فلم يوفق فيه وانتهى به الإمر إلى الطرد منه واللجوء إلى الجامعة المصرية التي حصل منها على درجة الدكتوراه الأولى في الأدب سنة 1914م، عن أديبه الأثير " أبي العلاء المعري".

ثم دفعه طموحه إلى الدراسات العليا في باريس ونجح في نهاية المطاف في الحصول على شهادة الدكتوراه الفرنسية من جامعة السريون التي أنجهزها حول الدكتوراه الفرنسية الفرنسية من جامعة السربون التي أنجزها حول علم من أعلام تونس وفذ من أفذاذها ' عبد الرحمن ابن خلدون'.

عاد إلى مصر سنة 1919م، بعد أن فرغ من رسالته عن ابن خلدون وعمل أستاذ للتاريخ اليوناني والروماني سنة 1925م، حيث ثم تعيينه أستاذ في قسم اللغة العربية مع تحول الجامعة الأهلية إلى جامعة حكومية وما لبث سنة 1926م أن أصدر كتابه " في الشعر الجاهلي" الذي أحدث عواطف من ردود الفعل المعارضة وظل طه حسين يثير عواطف التجديد حوله في مؤلفاته المتتابعة ومقالاته المتلاحقة وابداعاته المتدافعة ،إلى أن أصبح عميد كلية الأداب سنة1930.

رفض حسين الموافقة على منح الدكتوراه الفخرية لكبار السياسيين سنة 1932،وحين واجه هجوم الانصار الحكم الاستبدادي في البرلمان،الأمر الذي أدى إلى طرده من الجماعة التي لم يعد إليها بعد سقوط حكومة صدقي باشا.

تولى سنة 1943 إدارة جامعة الاسكندرية ،ولم يكف عن حمله لمستقبل الثقافة أو انحيازه إلى المعذبين في الأرض في الأربعنيات ،حيث عين وزيرا للمعارف في الوزارة الوفدية في 1950/01/13 إلى غاية 1952/05/21 خلال هذه الفترة القصيرة أحدث ثورة كبيرة في نشر التعليم في مصر ،لقب طه حسين بعميد الادب العربي لتأثيره الواضح على الثقافة المصرية والعربية.

كان لطه حسين أدوار جذرية متعددة قام بها،أسهمت في الانتقال بالانسان العربي من مستوى الضرورة إلى مستوى الحرية ومن الظلم إلى العدل ومن التخلف إلى التقدم ومن ثقافة الظلام إلى ثقافة الاستنارة ،فهو أجسر دعاة العقلانية في الفكر والاستقلالية في الرأي ،والابتكار والتحرر في البحث الأدبي ،ظل يكتب في عهد الثورة المصرية إلى ان توفي عبد الناصر.

وفي فرنسا التقى طه حسين بزميلة له ،أصبحت فيها بعد زوجته ،كان لها دور كبير في حياته ،فقد كانت تترجم له وهي التي ساعدته على الإطلاع على ثقافة الاخر.

توفي طه حسين في 1973/10/28 تاركا تاريخا وراءه وكما هائلا من الكتب والمؤلفات منها :

"في الادب الجاهلي" ،"الأيام" في سيرته الذاتية ،إضافة إلى بعض الأعمال القصصية منها : "دعاء الكروان" ،"شجرة البؤس" ،"المعذبون في الارض" والتاريخية من مثل "على هامش السيرة" ،ثم أعماله النقدية :

"حديث الاربعاء" ،"تجديد ذكرى أبي العلاء "،"مع المتنبي" ،"ومن الشعر والنثر" والفكرية منها :"مستقبل الثقافة في مصر" ،ومن مؤلفاته أيضا "مرآة الضمير الحديث" ،"خصام ونقد" ، "بين بين" ،"نقد وإصلاح"،"من بعيد" ، "قادة الفكر"،"جنة الحيوان"،"تقليد وتجليد" ،"خواطر"،" من آداب التمثيل الغربي"،"رحلة الربيع والصيف" ،"من لغو الصيف"،"قصص تمثيلية" ، وغيرها الكثير.

بقول الدكتور محمد مصايف :"أجل انتقل طه حسين إلى رحمة الله ،ولكن أفكاره وأثاره ستظل مصدر اشعاع ،وستبقى مواقفه خير أسوة لكن أديب ملتزم يأبى أن يستعمل قلمه في خدمة غير الحق والفن الصحيح ،وبهذا أستاره عن آن أن تحجبه عن الأزمان"

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات:

العنوان	الصفحة
البسملة	
الإهداء	
الشكر	
مقدمة	02
مدخل	07
الفصل الأول : منهج الشك الديكارتي عند طه حسين في الأدب الجاهلي	
المبحث الأول : ديكارت ومفهومه للشك	15
1-الإستغلال العقلي	15
2-اليقين المطلق	16
المبحث الثاني : طه حسين ومبدأ الشك	17
1-مفهوم منهج الشك عند طه حسين	17
2-الإختلاف بين المنهج ديكارت ومنهج طه حسين	20
المبحث الثالث : تطبيق منهج الشك الديكارتي "في الأدب الجاهلي"	21
1-دوافع شكه في الشعر الجاهلي	23
2-الأدب الجاهلي واللغة	24
3-اختلاف اللهجات	25
4-وضع ونحل الشعر	29
5-شكه في الشعر والشعراء	32
6-النقد الموجه للكتاب	34
الفصل الثاني : منهج التاريخي " عند طه حسين " تجديد ذكرى أبي العلاء"	
المبحث الأول : طه حسين ومنهج الجبر التاريخي	38
1-مفهوم الجبر التاريخي عند طه حسين	38
2-تأثير كارلونلينو وهيبلت تين في فكر طه حسين	40

المبحث الثاني : تطبيق " الجبر التاريخي " على تجديد ذكرى أبي العلاء	43
1-زمان أبي العلاء ومكانته	44
2-حياة أبي العلاء	46
3-أدب أبي العلاء	47
4-علم أبي العلاء	49
5-فلسفة أبي العلاء	50
المبحث الثالث : النقد الموجه للكتاب	53
1-موقف المؤيدين	53
2-موقف المعارضين	55
خاتمة	57
قائمة المصادر والمراجع	59
قائمة الملاحق	63
فهرس المحتويات	